



بيزنطة فى عهد الإمبراطور ليو السادس

٨٨٦م / ٩١٢م

إعداد

د/ سامية عامر

- مدرس تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى

مقدمة

يعتبر عصر الأسرة المقدونية العصر المشرق في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية إذ تمكن أباطرة هذه الأسرة من تغيير أوضاع بيزنطة. ومنحها كل مظاهر القوة والعظمة في كافة نواحي الحياة فشهد عهد تلك الأسرة أعظم النظم والإصلاحات الداخلية وسن القوانين العديدة التي حققت للدولة تقيلاً اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً متميزاً في الداخل، كما استطاعت أن تعطيتها مكانة مرموقة في الخارج، فحققت لنفسها مجداً عسكرياً متميزاً بين القوى السياسية الأخرى في الشرق والغرب على حد سواء وإن كان هذا لا يمنع أن عهد الأسرة المقدونية شهد فترات ركود سياسي لو استطاعت القوى المعادية آنذاك استغلاله وخاصة الدولة الإسلامية لما حققت بيزنطة الهيمنة والسمو.. ولما واصلت صحتها قرب منتصف القرن العاشر الميلادي، الرابع الهجري.

وسوف نتناول في هذا البحث حياة واحد من أباطرة الأسرة المقدونية الأوائل وهو الإمبراطور ليو السادس أو ليو الحكيم كما كان يطلق عليه وهو ثاني أباطرة الأسرة المقدونية.

وسيكون حديثنا عنه، دلالة على سياسته وإصلاحاته الداخلية ثم على علاقاته السياسية بالمسلمين والبلغار والروس وكيف اتسمت سياسة بيزنطة في عهده بالمسالمة مع أعدائها في أغلب الأحيان إذ وجهه ليو السادس جل اهتمامه إلى وضع القوانين ونهضة البلاد التشريعية، ورغم أن حياة ليو السادس الشخصية وزيجاته الأربعة من أجل إنجاب وريث لعرش بيزنطة من سلالة الأسرة المقدونية قد شغل جانباً كبيراً من كتابات المؤرخين المعاصرين والمحدثين إلا أننا لن نتعرض لهذه القضية إذ أفرد لها الأستاذ الدكتور وسام فرج كتاباً مستقلاً بعنوان "الزواج الرابع لليو السادس".

وعليه فسوف نستهل البحث بالحديث عن حياة ليو ونشأته ثم ولايته العرش وعلاقاته برجال الدين في القسطنطينية بعيداً عن موقفهم منه فيما يخص موضوع زواجه الرابع.. كما سنتناول مجموعة القوانين التي أقرها ليو السادس سيراً على نهج أبيه بازيل الأول ومدى استفادته من ثمره جهده.

كما سنتحدث عن أهم مؤلفات ليو السادس وتنظيماته الإدارية والاقتصادية والعسكرية، وسنلقي الضوء على علاقاته الخارجية بالدول المجاورة ونستهلها بالبلغار وصراعه مع سيمون، ثم مع المسلمين على حدود شرق وغرب بيزنطة ثم صراعه مع الروس وأثر ذلك على سيادة بيزنطة وأهميتها في الخارج وسنختتم البحث ببذة سريعة عن نهاية عصر ليو السادس.

أولاً: ولاية ليو السادس عرش بيزنطة

أمتد عهد الإمبراطور ليو السادس أو ليو الحكيم من عام ٨٨٦م إلى عام ٩١٢م وتميز حكمه خلالها بالتفاوت في حجم الإنجازات في الداخل عنها في الخارج رغم إن هذا العهد كان امتداداً لعهد والده مؤسس الأسرة المقدونية بازيل الأول ففي الداخل تمتعت بيزنطة في عهد ليو السادس بانتعاش اقتصادي وثقافي كبير، وفي الخارج شهدت بيزنطة بعض الركود في السياسة الخارجية الأمر الذي جعله يؤثر عقد الصلح ودفن الجزية على الحرب والدمار والقتال، وربما يرجع ذلك إلى نشأة ليو السادس الدينية وطبيعته المتسامحة لهذا لم يستطع ليو حماية بيزنطة وأملها في الخارج من الكوارث والاضطرابات أو يمنع أعداء الدولة البيزنطية من تهديدها في الشرق أو في الغرب.

ويجدر بنا قبل الخوض في سيرة ليو السادس أن نعود للوراء قليلاً لنلقي الضوء على فترة حكم والده بازيل الأول. فالمعروف أنه وصل العرش بعد اغتيال الإمبراطور ميخائيل الثالث من ٨٤٣/٨٦٧ واستقامت له الأمور ليؤسس أسرة جديدة، جاء تاريخها يمثل العصر الذهبي للإمبراطورية البيزنطية.

وقد ساعدته في تلك المرحلة الهامة من حياته وزوجته يودوكيا انجبرينا Eudocia Ingerina وكانت محظية سابقة للإمبراطور ميخائيل الثالث. وحرص بازيل الأول طيلة فترة حكمه التي امتدت من (٨٦٧-٨٨٦) أن يعتلي عرش بيزنطة سلالة الأسرة المقدونية. لذلك توج أبنة الأكبر قسطنطين وجعله شريكاً له في الحكم، وبعد سنة واحدة توج أبنة الثاني ليو الملقب بالحكيم ثم ابنه الاسكندر في ٨٧٩م أما أبنة الرابع ستيفن Stephan وهو أصغر أبنائه فقد أختار له مساراً آخر بالانخراط في سلك الكنيسة ليصبح من رجال الدين وقدر له أن يشغل بعد ذلك منصب بطريرك القسطنطينية^(١). وقد حرص بازيل الأول على أن تسود حالة من الاستقرار الديني في عهده بسبب ما حدث من نزاع وانشقاق بين الكنيستين الشرقية والغربية ورغبة كنيسة روما في الهيمنة على القسطنطينية، فعزل بطريرك القسطنطينية فوتيوس Photius بسبب موقفه المتشدد ضد كنسية روما حتى يرضي البابوية. لكنه عاد وأرجعه إلى منصبه من جديد بسبب حالة الغضب التي اجتاحت القسطنطينية بل قربه منه، وعهد إليه بتربية أولاده وتنشئتهم نشأة دينية.

كما حاول بازيل الأول أن يسلك مسلكاً مغايراً في إدارة البلاد غير الذي نهجه الإمبراطور ميخائيل الثالث وخاله بارداس Bardas وحرص على نشر المسيحية بين الشعوب المجاورة، وجعل بلاطه مركزاً دينياً وروحياً عظيماً، واضطهد مناهضي عبادة الصور والأيقونات وحاول إدخال الروس في الديانة المسيحية^(٢)، ودخل المسيحية في عهده عدد كبير من الصقلية.

Leonis Gammaticus, Chronogra phia, Patrologiae Graecae, t. 108, Belgium, p.1095, cf. also; Bury, J, A (1) History of the Roman Empire, london, 1912, p. 169.

Ostrogorsky, G, A History of the Byzantine States, trans. By Hussey, Oxford, 1952, p. 206, Bury, (2) op. Cit., p. 204.

انظر أيضاً عماد الشبخ (دكتور): تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ١١٨٩ جوزيف نسيم يوسف (دكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، ١٩٩٦، ص ١٤٩.

أما في الداخل فقد حقق الكثير من الإصلاحات الهامة والأعمال النافعة لشعبه، وجعل لبيزنطة شخصية سياسية مهيمنة وقوية في المنطقة وكان يهدف من ذلك أن يمحو من الأذهان قضية اغتياله لسيدة ميخائيل السكير باعتبارها كان وصيفاً له^(٧). وحاول بازيل الأول أن ينهض بتشريعات الدولة ويعيد النظر في التشريع الروماني، وأخذ في الاعتبار روح العصر واحتياجات المجتمع.. وخلال انشغاله بهذه الأعمال توفى ولي عهده والمقرب إلى نفسه ابنه قسطنطين، والذي أمل أن يرث عرش بيزنطة بعده.. وقد حزن عليه بازيل حزناً شديداً وأمضى السنوات الأخيرة من حياته في حالة من الاكتئاب النفسي الشديد وانتهى الأمر بوفاته في ٢٩/ أغسطس ٨٨٦م إثر تعرضه لحادث أثناء رحلة صيد^(٨). فانتقل الحكم إلى ابنه الثاني الذي عرف بليو الحكيم^(٩)، والذي كان على خلاف شديد مع والده^(١٠) وشارك ليو في الحكم أخوه الاسكندر ولكنها كانت مشاركة شكلية فقط لأن الاسكندر كان منغمساً في ملذاته ومنصرفاً تماماً عن شئون الدولة^(١١). فلم يرهق نفسه بأعباء الحكم ولكنه ظل من الناحية الشرعية شريكاً لشقيقه ليو السادس في الحكم على الرغم من أن ليو توج ابنه قسطنطين ولياً لعهد في يونيو ٩١١م/ شوال ٢٩٨هـ^(١٢)، وكان يعرف باسم قسطنطين بروفيروجينتوس أي المولود بالغرقة الأرجوانية Constantini Porophyroyetus.

وحين تولى ليو السادس الحكم قام بعزل البطريرق فوتيوس وعين مكانه شقيقه ستيفان بطريقاً لكنيسة القسطنطينية وذلك في ديسمبر ٨٨٦م. مما أدى إلى اضطراب وقلق شديد داخل الكنيسة التي رفضت تعيين ستيفان لصغر سنه من ناحية وأحقية فوتيوس بهذا المنصب من ناحية أخرى. وقد بالغ الحزب المتشدد داخل الكنيسة في تصعيد الأزمة ربما لمحاولة حرمان ليو السادس من أن تكون له الهيمنة على مقاليد الكنيسة والدولة معاً^(١٣). ولم يعمر البطريرق ستيفان طويلاً فقد مات في مايو ٨٩٣/ ربيع أول ٢٨٠هـ. ومات فوتيوس أيضاً في منفاه في أرمينيا^(١٤).

وعلى الرغم من العلاقة الوطيدة التي كانت تربط ليو السادس بالبطريرق فوتيوس الذي كان مسؤولاً عن تعليمه ونشأته إلا أن رغبة شقيقه ستيفان في اعتلاء الكرسي الديني في العاصمة ورغبة ليو في الهيمنة على الكنيسة جعلته لا يقيم وزناً كبيراً لعلاقته بفوتيوس فبادر بتعيين ستيفان في منصب البطريرق الذي لم يعمر

(٧) سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): أوروبا في العصور الوسطى، ج ١، التاريخ السياسي، الطبعة السابعة، ١٩٩٤، ص ٤١٧-٤١٩.

Cam. Med. Hist, Vol, 4, pp. 51-52

Gernier, P. L'Empire Byzantin, Paris, 1904, p. 89.

انظر أيضاً:

(٨)

Leonis Grammatici, op. Cit., p. 1095, cf. also: Bury, op. Cit., p. 176. Ostrogorsky, op. Cit., pp. 216-217.

(٩)

انظر أيضاً عمود سعيد عمران (دكتور): معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بيروت، ١٩٨١، ص ١٤٥.

(١٠) جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص ١٤٩.

George Monachus, Vita Recentiorum Imperatorum C. S. H. B. 1836, p. 874.

(١١)

قسطنطين السابع: إدارة الإمبراطورية البيزنطية، عرض وتحليل وتعليق د/ عمود سعيد عمران، بيروت، ١٩٨٠، ص ١١.

(١٢) Ostrogorsky, op. Cit., p. 214; cf. also, Jenkins, R, Byzantium, London, 1966, p. 209, Ostrogorsky, op. Cit., p. 214.

(١٣)

Leonis Grammatici, op. Cit., pp. 1095-6.

طويلاً كما سبق أن أشرنا وخلفه انطوان الثاني كاولياس Anthony II Kauleas وكان على درجة كبيرة من الذكاء والحصافة إذ تمكن من جمع الشمل داخل الكنيسة الشرقية ووفق بين المتشددين والمعتدلين ليعيد للكنيسة هدوءها.

وحين تولى بعده نيقولا مستيكوس كرسي البطريرقية بدأت فترة هامة في العلاقة بين الدولة والكنيسة لأن الصداقة كانت حميمة بينه وبين الإمبراطور ليو السادس لأن مستيكوس وليو كانا تلميذين في مدرسة البطريرك فوتيوس الذي كان بمثابة الأب الروحي لهما^(١١)، ولكل أبناء بازيل الأول، وهذه الصداقة أعطت الفرصة لنيقولا مستيكوس لأن يحقق مكانة هامة في الدولة فقد أسبغ عليه ليو السادس في البداية لقب مستيكوس أي السكرتير الخاص^(١٢). ثم ما لبث أن عينه في كرسي بطريرقية القسطنطينية في مارس ٩٠١م/ ذو الحجة ٢٨٩هـ^(١٣).

تلك كانت الملامح الأولى لفترة حكم ليو السادس، وما تبع هذا ثورة إصلاحات ضخمة شملت كل نواحي السياسة والحكم في الداخل، كما عمل على تقوية الجيش والأسطول لمواجهة الأعداء في الخارج وإن لم تكن له شهرة كبيرة في مجال السياسة الخارجية.

Jenkins, op. Cit., pp. 200-201; Ostrogorsky, op. Cit., p. 207. (١١)

Leonnis Grammatici, op. Cit., pp. 1095 – 1097. (١٢)

Vita Euthymii, Patriarchae, Texte, translation, Introduction and Commentary by P. Karlin Hayter, (١٣)
Bruxelles, 1970, pp. 116 – 66.

ثانياً: السياسة الداخلية لليون السادس

عرف عن ليو السادس أنه نشأ وتلمذ على يد رجل الدين البيطريق فوتيوس وكان لهذا أثره على ميله واتجاهاته.. فقد تفوق قلمه على سيفه^(١)، وتعلم الكثير من فروع المعرفة، وأصبح بليغاً وخطيباً مفوهاً وشاعراً متميزاً وكان ليو محباً لعلوم الفلسفة واللاهوت والمنطق، وكان شغوفاً بدراسة النحو والفلك مولعاً بمعرفة علم الغيب، لذا أطلقت عليه بعض المصادر اسم ليو الحكيم وليو الفيلسوف Leo، Leo Wise، Leo Philosoph^(٢)، وقد كانت اهتماماته العلمية تفوق اهتمامات أبيه بكثير.. وكان يميل دائماً إلى الماضي والبحث في علوم اللاهوت وكل العلوم الدينية الأخرى^(٣). وكتب العديد من القصائد الدينية والترانيم وله الكثير من الخطب الكنسية التي كان يحرص على أن يلقيها بنفسه في الأعياد والاحتفالات الدينية ومن أبلغ ما كتب تلك الخطبة الجنائزية التي ألقاها في مناسبة تأبين والده بازيل الأول، كما كان له العديد من التنبؤات حول مصير الإمبراطورية تلك التي نالت شهرة عظيمة في العالم البيزنطي بل هي التي أكسبته لقب الحكيم أو الفيلسوف كما سبق القول^(٤).

وقبل أن نستهل حديثنا عن إنجازاته الداخلية نسرع إلى القول أن هذا التفوق في النواحي العلمية والاهتمامات الثقافية شغله عن وضع برنامج سياسي ناجح ومحدد الأهداف خاصة في السياسة الخارجية وهذا كله لم يكن في صالح بيزنطة سياسياً^(٥).

ومن أهم إنجازات ليو السادس الداخلية تلك المجموعة الضخمة من القوانين التي شبهها الكثيرون بقوانين حستينان.. ويرجع الفضل في وضع تلك القوانين لجهود والده بازيل الأول لأنه كان صاحب اللبنة الأولى والجهد الأكبر في تلك الإنجازات الداخلية التي تمت واكتملت على عهد ليو السادس والذي استطاع بعلمه وبلاغته أن يسهم بقسط كبير في إخراجها إلى حيز الوجود^(٦).

(١) Empire, Hussay, T. M, The Byzantine World, london, 1967, p. 31, cf. also, Vasilicvc, A., The Byzatine vol. I, Medison, 1959, p.331.

(٢) Cam. Med. Hist, vol. 4. P. 56.

(٣) وانظر أيضاً جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص ١٤٩، وسام فرج (دكتور): دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ٢٦.

(٤) Grenier, op. Cit., pp. 195 – 196; Jenkins, op. Cit., pp. 201 – 203.

(٥) Theopanus Continuatus, Chronographis, C. S.H.B, 1838, pp. 364 – 365; Leonnis Grammatici, op. Cit., 1090, Leonis Diaconi, Historia, in Patrologiae Graecae, tomus, 117, Belgium, p. 834.

(٦) انظر أيضاً محمد الشيخ: المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٧) Oman, A History of the Art of War. V. I, London, 1924, pp. 183 – 186.

وأيضاً عمران: المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٨) Joannis Zonaras, opera Omnia in Patrologiae Graecae, tomus, 135, p. 66; Ostrogorsky, op. Cit., pp. 216 – 217.

انظر أيضاً السيد البار العربي (دكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٦٥، ص ٣٤٦.

وتعتبر الفترة الأولى من حكم ليو السادس أعظم فترات إصلاحاته وإنجازاته العلمية والقانونية وذلك بسبب وجود ستليانوس زاوترس Stlyanus Zautzes كمستشار له حيث منحه لقب ماجستير Magister^(٧) واعتمد ليو السادس عليه بصورة كبيرة في تسيير أمور الدولة وازداد اقترابه منه بعد زواجه من ابنة هذا المستشار واسمها زوى ستليانوس Zoe Stlyanus فأنعم عليه الإمبراطور بلقب "والد الإمبراطور" وكان ستليانوس من أصل أرمني وعلى درجة كبيرة من العلم والثقافة وكانت لديه مكانة كبيرة منذ عهد بازيل الأول فقد عمل مستشاراً لبازيل ويشير صاحب الصلة إلى أن ستليانوس أمسك بمقاليد الحكم الإمبراطوري عقب وفاة بازيل الأول وقبل انتقال العرش لابنه ليو السادس^(٨) الأمر الذي ظهرت آثاره ويوضح حيث تمكن ليو من تحقيق مشروعه الإصلاحية الضخم بفضل مساعدة وجود هذه الكفاءات العالية حوله.

ونستهل الحديث عن إنجازات ليو السادس بمجموعة القوانين التي وضعها والتي تعرف باسم البازيليكا Basilica والفضل في وضعها يرجع إلى جهد والده بازيل الأول كما سبق القول حيث كان معجباً بالحضارة الرومانية والقانون الروماني القديم وازدهرت في عهده دراسة وتطوير القوانين بفضل جهود ثيوكتستوس Theoctistus وبارداس Bardas وكان لكل منهما دور كبير في تنقية بنود القانون الروماني وأخذ أفضل ما فيه لتتماشى مع ظروف المجتمع والعصر فوضعت مجموعة شاملة من القوانين.. اعتمد فيها على قوانين جستنيان التي نشرت باللغة اليونانية. وأضيفت إليها بنود عديدة من القانون الجديد وقد وصف بازيل الأول هذا العمل بقوله "أنه تطهير للقانون القديم"^(٩) ورغم أن هذه القوانين لم تنشر لكن لا يمكن إنكار حقيقة هامة وهي أنها كانت الأساس الذي بنى عليه ليو السادس مجموعة قوانينه المعروفة باسم البازيليكا^(١٠) تلك التي تعتبر تكملة المراجعة التي بدأها بازيل الأول لقوانين جستنيان إلا أنها نسبت لليو السادس على اعتبار أنه هو الذي وضعها وأعاد صياغتها بقدر كبير من الحنكة والثقافة العالية التي تميز بها هذا الإمبراطور ومستشاريه آنذاك^(١١) وتشتمل البازيليكا على ستة مجلدات تجلت فيها عبقريته الثقافية ومدى نجاحه في برنامجها الداخلي حتى لو كان على حساب سياسته الخارجية^(١٢). وتتسم تلك المجموعة من القوانين بأنها أصبحت أساس القانون

^(٧) حمل ستليانوس ألقاباً عديدة على عهد ليو السادس فقد أطلق عليه لقب الماجستير الأول Proto magister ولقب اللغيت Magister tou dormou أي المسئول عن الشؤون العامة كما حمل لقب الماجستير المسئول عن الدواوين المقدسة Magister tou theion ولقب والد الإمبراطور وهذا اللقب أول من أطلقه كان ليو السادس تكريماً لوالد زوجته للمزيد انظر:

Theoph. Cont, op. Cit., p. 357; Symon Magister Annals, C. S. H. B, 701.

وأيضاً وسام فرخ: الزواج الرابع لليو السادس ص ٤٥ - ٤٦.

^(٨) Theoph. Cont, op. Cit., p. 354; Zonarae, op. Cit., p. 66, Leonis Grammatici, op. Cit., p. 1099.

^(٩) Vasiliev, op. Cit, p. 339, Ostrogorsky, op. Cit., p. 212; Bury, op. Cit., p.217.

^(١٠) Theophanus Cont, op. Cit., pp. 371 - 376, cf. also: Jenkins, op. Cit., pp. 208 - 209, Ostrogorsky, op. Cit., pp. 313 - 316.

وأيضاً جوزيف نسيب: المرجع السابق، ص ١٥٢، عمران: المرجع السابق، ص ١٤٦.

^(١١) Toynbee, A., Constantine Prohphgenitus and His World, London, 1073, p. 5, cf. Also, Ostrogorsky, op. Cit., pp. 216 - 217.

انظر أيضاً عماد الشيخ: المرجع السابق، ص ١٩٨، جوزيف نسيب: المرجع السابق، ص ١٥١، عمران: المرجع السابق، ص ١٤٦،

^(١٢) Oman, The Dark Ages, p. 493.

المدني والعام واعتمد فيها ليو السادس على المصادر اللاتينية التي استخدمت كبدل عن التراجم والتعليقات والشروح الإغريقية التي ترجع إلى القرن السادس والسابع وقد صنفها ليو في ستين كتاب مما سهل على الشعب البيزنطي الاستفادة منها للطريقة المنظمة التي جمعت بها^(١٣).. حيث دونت القوانين بصورة يسهل الرجوع إليها على عكس قوانين جيستيان التي عالجت الموضوع الواحد في أكثر من موضع مما يصعب في كثير من الأحيان الاستفادة منها الأمر الذي جعل البيزنطيون يقبلون عليها، وقد توقفوا تماماً عن الاعتماد على قوانين جيستيان^(١٤) حتى أصبحت البازيليكا مصدر التشريع لبيزنطة منذ وفاة ليو السادس وحتى نهاية العصور الوسطى وهذا ما أجمع عليه كثير من المؤرخين وقد حرص عدد كبير من رجال السياسة والقانون بعد وفاة ليو السادس على أن يعملوا على تحسين وتنقيح الكثير من بنودها وخاصة ذلك التعديل الذي قام به قسطنطين السابع ابن ليو السادس ٩٥٩/٩٤٤م وهو ما عرف باسم الشروح القديمة Old Commentaries^(١٥).

بالإضافة إلى شروح أحدث تم وضعها في القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادي.

وفي القرن الثاني عشر الميلادي أيضاً تم عمل فهرست للبازيليكا وتكمن أهمية هذا الفهرست في أنه يقدم محتوى دقيقاً للبازيليكا ويعرف هذا الفهرست باسم Tipoukeitos^(١٦)، وقد أفاد الباحثون كثيراً منه خاصة بعد اختفاء عدد كبير من أجزاء البازيليكا.

بالإضافة إلى هذا هناك مجموعة أخرى من القوانين وضعها ليو السادس وعددها مائة وثلاثة عشر مادة وتعرف باسم "مجموعة المستجدات" C ollections of Novels^(١٧) وهي كثيرة الاعتماد على متجددات جيستيان وتحمل اسم

(a T vó N wv Éna vo p8w T I k a i a va k a o a p 6 E i s)

وتعني بالعربية "تصحيح وتطهير القوانين القديمة" ومما يسترعى الانتباه في هذه القوانين أنها وثيقة الصلة بقوانين وتشريعات بازيل الأولى الخاصة بالحقوق القديمة للقساوسة ومجلس الشيوخ (السناتو) وإن كان قد طرأ عليها تعديل في عهد ليو السادس حيث حرص على جعل مجلس السناتو صاحب سلطة شكلية فقط وركز كل السلطات في يده، بل وضع كل شئون الدولة في يد نظام بيروقراطي مما جعل ليو السادس اعتماداً على هذه المتجددات يضمن للأسرة المقدونية الهيمنة والمركزية المطلقة على شئون الدولة بل وتحول مجلس

^(١٣) Grumel, V, La chronologie de Leon VI, 1936, p. 5, Ostrogorsky, op. Cit., p. 217.

^(١٤) Baynes, N, and Moss, Byzantium, Na introduction to East Roman Civilization, Oxford, 1948, p. 21.

^(١٥) Theophanus Cont, op. Cit., p. 417. وللزيد عن

مولفات قسطنطين السابع انظر:

قسطنطين السابع وإدارة الإمبراطورية، ص ٣٨ - ٤١.

انظر أيضاً: Ostrogorsky,, op. Cit., p. 243, Baynes and Moss, op. Cit., pp. 21 -22.

عمران: المرجع السابق، ص ١٤٦.

^(١٦) Zonarac, op. cit., pp. 70 -72; Grumel, op. cit., pp. 5 -9, Ostrogorsky, op. cit., p. 217.

^(١٧) وسام فرج: الزواج الرابع، ص ١٥.

الشيوخ الذي يضم كبار موظفي الدولة إلى سلطة بلا نفوذ^(١٨). وأفقد ليو السادس بتلك المستجدات أهميته الخطيرة التي تمتع بها طيلة القرنين السابع والثامن الميلاديين.

وبالإضافة إلى البازيليكا والمتجددات أو المستجدات فقد وضع بازيل الأول قبل وفاته كتاب باسم "بازيل الأول وأبنائه ليو السادس والاسكندر" ويسمى الإباننا جوج Epanagoge وهو كتاب مختصر وتمهيد لمجموعة القوانين الكبرى التي وضعها بازيل الأول وقد أكملها ابنه ليو السادس، والأباننا جوجة تعتمد على الأكلوجا وتتناول أموراً تتعلق بالزواج وواجبات الأباطرة والبطارقة باعتبارها أعلى السلطات في العالم أي أن مبادئها تساير النظريات المثالية لذلك العصر في إطار تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية ولا تشير المصادر إلى أن ليو السادس له أي دور في صياغة هذه القوانين أو تنقيحها رغم أنها اكتملت وتم تطبيقها في عهده إلى جانب البازيليكا^(١٩).

وتشير بعض المصادر أن البطريرق فوتيوس كان له دوراً كبيراً في صياغة قوانين الإباننا جوجة.

أما عن جهوده العلمية والفكرية فقد ألف ليو السادس بعض الكتب ووضع فيها عصارة فكره. ومن أشهر مؤلفاته "كتاب فن الحرب" الذي يتحدث عن النظام العسكري في بيزنطة وأساليب القتال وفن ملاقات الأعداء^(٢٠)، كما أورد على صفحات كتابه تعداد جيشه، وخطبته العسكرية المختلفة في ملاقات الأعداء وذكر أن فرق الفرسان الثقيلة هي أساس الجيش وكان يرى أنه لا بد من انشائها في كل ولاية ويجب أن يكون قائدها من أبناء الطبقة الأرستقراطية في المجتمع حيث أن رقي مستواهم الاجتماعي يوجب احترامهم وتقدير الجند لهم بالإضافة إلى قدرتهم على اكتساب محبة الجند بأموالهم وإغداق الهدايا على صغار القوم منهم.

وقد أورد في كتابه قائمة بأسماء أسر هؤلاء القادة ودونت أسمائهم في السجلات الملكية ومنهم أسرة دوكاس Ducas وفوقاس Phocas وكومينوس Comenus وبرينيوس Bryenius وكراكوس وديوجينيس وغيرهم من أسماء الأسر العريقة التي ينسب إليها هؤلاء القادة^(٢١).

وقد أوصى ليو السادس في كتابه، القادة بأن يتبعوا أسلوب القتال السريع والحاسم ضد أعدائهم العرب والأتراك والسلاف والهنغاريين، وحذرهم من الدخول في اشتباك عام بل يفضل إجهاد عدوهم بالضغط الاقتصادي وقطع طرق التموين عليهم ثم ملاحقتهم بهجوم متكرر على أكثر من جبهة في وقت واحد... ونرى من نصائح ليو السادس لجيشه في هذا الكتاب أنها صدرت من قائد عسكري محنك رغم أنه لم يكن يميل إلى

(١٨) Paris, Novellac Leonis, Les Nouvelles de Leon VI Le Sage, ed. Et. Trad. A. Dain p. Noailles, 1944, pp. 296 - 298; Ostrogorsky, op. cit., pp. 217 - 218.

(١٩) Cam. Med. Hist, V. 4, p. 212, Vasiliev, op. cit, p.339.

وأيضاً: العربي: المرجع السابق، ص ٢٤٣.

(٢٠)

وأيضاً جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٢١) Leonis Grammatici, op. cit., pp. 1099 - 1101, Vasiliev, op. cit., pp. 337 - 347, Cam. Med. Hist, Vol 4, p. 743, Baynes and Moss, op. cit., pp. 20 - 21.

الحرب والقتال بحكم نشأته الدينية المتسامحة ... لكن من الواضح أن القادة والمستشارين من حوله كان لهم دور بارز في هذا التأليف كما نرى أن وصيته باتباع أسلوب الضغط الاقتصادي أشبه بأساليب الحرب في وقتنا الحالي... فالتاريخ يعيد نفسه في كل زمان ومكان. كما وصف ليو في كتابه زي فرق الجيش حيث كان لكل فرقة لباسها الخاص.. كما أشار إلى تنوع الأسلحة وطرق صيانتها وعين لجيشه كما يقول في كتابه مجموعات من المهندسين والجراحين^(٢٢).

وكان يحرص جداً على جرحى الحرب. حيث يشير إلى وضع مكافأة ذهبية لمن يحرص على نقل الجند الجرحى في المعارك.. وأشار ليو أيضاً إلى المهام التي أسندت إلى كبار القادة في الجيش وهي تشمل خطط القتال و حفظ الأمن في بحر إيجه والشرق ومياه جنوب إيطاليا وسواحل سوريا وأفريقيا وضد مسلمي كريست، كما نوه ليو السادس إلى إعداد أساطيله وكانت ثلاثة، منها اسطولان صغيران في مياه البحر الأسود وأسطول ضخم في بحر إيجه وكان هذا الأسطول مكوناً من ستين سفينة حربية تسمى درمون Dromon^(٢٣)، وهي سفينة ضخمة تنقل أربعة آلاف محارب على الأقل ويمكن إصلاحها في موانئ كثيرة مثل سالونيك وساموس كما أشار ليو إلى استخدام النيران الإغريقية كسلاح قوي ضد الأعداء، واعترف في كتابه بخطورة القرصنة في البحر على سفن وتجارة وبيزنطة وخاصة قرصنة كريست الذي لم تتأصل شأفتهم إلا عام ٩٦١م على يد نقفور قوقاس^(٢٤).

وقد أشار قسطنطين السابع في كتابه " إدارة الإمبراطورية" إلى المزيد من المعلومات عن الاستراتيجية العسكرية لليو السادس إذا اشتعلت الحرب، مع أنه لم يكن فيها راعياً فيشير إلى أن الإمبراطور كان يملك شانيتين، ففي وقت الحرب واستعداد البلاد لمعركة حربية كان يأمر بضم بحارة الشانيتين إلى السفن الحربية الإمبراطورية وكان يمددهم بكل ما يلزم من المعدات والتروس والأردية الجلدية والمعاطف.. وكان يمنح قاداته الكثير من الهبات والمنح على قدر شجاعتهم وبلائهم في الحرب ومن أشهر قاداته البحريين أمسير البحر يوستاثيوس، وميخائيل الكبير، وميخائيل الماهر، والقائد يوحنا بودارون الذي كافأه ليو بلقب " الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطوري" نظراً لما أبداه من شجاعة نادرة في عدد من المعارك البحرية للدولة^(٢٥).

وهكذا يتضح من كتاب فن الحرب لليو السادس وما أشار إليه قسطنطين السابع في كتابه عن نهج أبيه العسكري.. يتضح أن ليو السادس كان صاحب فكر عسكري متميز وله تأثير فعال في رسم خطط الحرب والقتال البري أو البحري.. ذلك بسبب تأثره بنهج والده بازيل الأول رغم أنه كان عازفاً عن الحرب والدمار

(٢٢) Jenkins, op. cit., pp. 209 – 210; Oman, A History of the Art of War, V. I, pp. 183 – 186.

(٢٣) Oman, op. cit., pp. 183 – 186.

وأيضاً أومان: الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د/ مصطفى طه بدر، القاهرة ١٩٥٦، ص ١٧٢.

(٢٤) Leonis Grammatici, op. cit., pp. 1099 – 1011; Zonarae, op. cit., p. 90; Baynes, op. cit., p. 20.

وأيضاً: أومان: المرجع السابق، ص ١٧٣ – ١٧٤.

(٢٥) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٢٠٠ – ٢٠١.

ولم يمنح بلاده الجهد العسكري المطلوب للتصدي للأعداء سواء كانوا من المسلمين أو البلغار أو الروس، بل كثيراً ما كان يميل إلى الصلح والمهادنة وحقن الدماء بسبب نشأته الدينية المتسامحة كما سبق القول.

ويتضح لنا من هذه التآليف البلاغة الفذة التي تميز بها ليو السادس وثقافته العالية، وقد حرص ليو السادس في هذه المؤلفات أن يكرر أنه مختار من الرب وأن العناية الإلهية ترعاه^(٢٦)، مما أعطاه الكثير من القدسية والهيمنة على الشعب البيزنطي فهو السيد المطلق داخل الدولة وهو القائد الأعلى للجيش وهو القاضي والمشرع، وحامي الكنيسة، بل وأضاف ليو على الكثير من صفحات كتبه أن بيده مفاتيح السلم والحرب وحكمه القضائي نهائي لا رجعة فيه.. وأعلن للجميع أن قوانينه الوضعية تعتبر وحياً من السماء ومن سلطاته صياغة قوانين جديدة واستبعاد قوانين قديمة^(٢٧). وأنه إذ يفعل ذلك فإنه ملتزم أمام الرعية بتحقيق العدالة ..

ورغم أن ليو السادس حاول أن يحقق لنفسه سلطات لا حد لها، إلا إن كثيراً من المؤرخين يرى أنه بالغ في إضفاء كل هذه الصفات على نفسه، وأن الأمر لم يتعد السلطات الدنيوية فقط.

وأما مسألة هيمنته على الكنيسة فلم يكن رئيساً عليها بل هو حامياً لها فقط. لأن الكنيسة لها راعيها الخاص وهو بطريرق القسطنطينية الذي كانت سلطاته ونفوذه في تزايد وتحدي مستمر مع السلطة الدنيوية^(٢٨).

حقيقة أن الإمبراطور ليو السادس كان بيده تعيين البطريرق وأنه بصفته المشرع للقوانين، كان يشارك في تشريعات الكنيسة ولكن لم تكن له في الحقيقة صلاحية عزل أصحاب الوظائف الكنسية الكبرى إلا بموافقة المجلس الكنسي، كما كان لليو السادس سلطة تعديل وإضافة القوانين المدنية لكنه لا يعدل قرارات المجالس الكنسية. ولا شك أن موقف الكنيسة المتشدد منه في مسألة زواجه الرابع من زوى ورفضهم تعميده أبنه قسطنطين بروفيرو جنيتوس لدليل قوي على استقلالية وهيمنة كنيسة القسطنطينية وعدم خضوعها لليو السادس إذا تعدى القوانين الكنيسة أو تجاوز حدود الدين^(٢٩). وقد تناول أحد المؤرخين المحدثين تلك القضية بالتفصيل وأوضح كيف لعب البطريرق نيقولا مستيكوس دوراً رئيسياً في النزاع بين الكنيسة والقصر حول قضية الزواج الرابع رغم الصداقة الوطيدة التي كانت تربط بين ليو السادس ونيقولا مستيكوس منذ أن تتلمذا معاً على أيدي البطريرق فوتيوس^(٣٠).

(٢٦) Osrogorsky, op. cit., p. 218 – 220; Baynes and Moss, op. cit., p. 268.

وأيضاً جوزيف نسييم: المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٢٧) Brehier, Institutions, Les institutions de l'empire Monde Byzantin II (L'évolution de L'Paris, 1948, p. 121.

(٢٨) Every, G, The Byzantine Patriarchate, 451, 1204. A. D, London, 1962, p. 5.

(٢٩) Theophanus Cont, op. cit., p. 370. وأيضاً:

وسام فرج: الزواج الرابع لليو السادس، ص ٤١. Karlin – Hayter, Le Synode a constantine 886 – 912 et Le vol de Nicolas Le Mestique dans L'affaire de La etragamic, JoB, 1970, pp. 59 – 101.

(٣٠) وسام فرج: المرجع السابق، ص ١٣، ١٤.

هذا عن أهم تأليف ليو السادس التي يتضح فيها مدى أسهامه في انعاش الحركة العلمية والثقافية والاهتمام بهذا الجانب الحضاري في الإمبراطورية البيزنطية في عهده.

أما عن النظام الإداري لبيزنطة على عهد ليو السادس فقد اكتمل في عهده تقسيم الولايات الكبرى أو الـ *Thems* إلى وحدات إقليمية أصغر وجرى ذلك في أوائل القرن التاسع الميلادي واختفت في عهد ليو وظيفة البروقنصل لتنتهي تماماً كل صلة إدارية كانت تربط ببيزنطة بعهد نيقديانوس وقسطنطين^(٣١)، وأسندت القيادة العسكرية في الولايات إلى حاكمها، وظهرت وظيفة " القائد العسكري " *Startegus* وهو أعلى سلطة في الولاية وقد حرص ليو في دعمها مادياً وتلافي كل المشكلات الاقتصادية التي تعوق عملها^(٣٢).

وأصبحت المقاطعات في عهد ليو السادس مقسمة على النحو التالي: أوبسيكون *Opsikion* ، وبوكيلاريون *Bucellarion* وأوبيماتون *Optimaton*، بافلاجونيا *Paphlagonia* وأرميناكون *Armeniakon* وخالديا *Chaldia* وكولونيا *Colonia* وخارسيون *Charsianon* وأناتوليكون *Anatolikon* وتراكسيون *Thracasion* وكبادوكيا *Cappadocia*، ومقدونيا وسالونيكيا وأقليم ساموس في بحر إيجة وغيرهم^(٣٣). وقد ضم ليو بعض المناطق إلى بعضها وجعل منها ثيمات جديدة فأصبحت تلك الولايات أكثر مرونة، وأكثر قدرة عسكرية على المواجهة. وقد طرأت تغيرات كثيرة على تنظيم الأقاليم في المناطق المفتوحة وأصبح تأسيس ثيمات جديدة في الممالك البيزنطية القديمة أمراً عادياً بعد أن كان نادر الحدوث من قبل لهيمنة المقاطعات الكبيرة وعدم الرغبة نهائياً في تقسيمها^(٣٤). وعلى هذا أصبح تقسيم الولايات سمة مميزة لعهد ليو السادس وقد كان ليو يعمل على تحويل الأراضي التي تضاف إلى حدود بيزنطة إلى ثغور أو "ألوية ثغور" فأنشأ لواء سلوقيا الثغرى كما طور الثغور القديمة بإضافة ثغور بحرية جديدة لها أصبحت قاعدة بحرية للجيش البيزنطي^(٣٥).

وقد ترتب على تقسيم المقاطعات ظهور عدد كبير من الألقاب الشرفية وهي عبارة عن وظائف سابقة فقدت قيمتها بمرور الوقت ووجود قوائم عن هذه الألقاب يظهر لنا بوضوح الهيكل البيروقراطي البيزنطي وقد شاع استخدام تلك الألقاب في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وكان أعلى هذه الألقاب لقب القيصر *Caesar* والنبيل *Nabilissimus* وكانت تطلق على أبناء الأسرة الحاكمة فقط... كما وجدت وظيفة أشبه

Jenkins, op. cit., p. 207, Bury, op. cit., pp. 224 – 225. (٣١)

Theophanus Cont, op. cit., p. 243; Ostrogorsky, op. cit., p. 243. (٣٢)

وللمزيد عن الأقسام الإدارية والوظائف عليها انظر قسطنطين السابع: المصدر، ص ١٨٩ – ١٩٢. (٣٣)
أيضاً: Bury, op. cit., pp. 224 – 225; Ostrogorsky, op. cit., pp. 219 – 220.

عفاف صبره (دكتور): الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، ١٩٨٢، ص ١٤٧.

Theophanus Cont, op. cit., pp. 376 – 377, Zonaras, op. cit., p. 90, Bury, op. cit., p. 226, Oman, A History of (٣٤)
the Art of War, Vol. I, pp. 183 – 186, London, 1924.

Cam. Mcd. Hist, Vol. 4, p. 732, Baynes, op. cit., p. 140, Runciman, The Byzantine civilization, p. 151. (٣٥)

بأمين السر أو المستشار الخاص للحاكم ويطلق عليها باراكوميونوس Paracoemomenus^(٣٦) وكان يشغل هذه الوظيفة بازيل الأول في فترة خدمته للإمبراطور ميخائيل الثالث حيث كان ينام بالقرب من غرفة الإمبراطور الذي يضع كل ثقبه فيه. وكان لصاحب هذه الوظيفة الهيمنة على كل أسرار الإمبراطور وكل أمور القصر.. كما وجدت أيضاً وظيفة رئيس الاحتفالات Protopaepositus ورئيس الاسطبل Protostrator ووظيفة حاكم القسطنطينية ومهمته الإشراف على أمور العاصمة وكان يسمى "أبو المدينة"^(٣٧) وانتشرت في عهد ليو السادس وظيفة الطواشي وهي وظيفة قديمة شغلها من قبل عدد كبير من رجال الدولة كما ظهرت وظيفة اللغيث Logothete وصاحبها مسؤول عن تدبير سياسة الدولة وقد شغلها ستليانوس زاوترس^(٣٨).

وفي مجال التعليم اهتم ليو كثيراً بالأشراف على المدارس ودور العلم وعين لهذه الوظيفة أندريا ويوحنا هاجيوبولتيس وكانا مشهود لهما بالحكمة والمعرفة^(٣٩).

أما بالنسبة للوظائف المالية في عهد ليو السادس، فقد كان لها مكانة مرموقة في الدولة.. وقد أظهرت مدى البيروقراطية المسيطرة على أمور البلاد ومن أشهرها وظيفة Sacellarius وهو "رئيس المالية" ووظيفة رئيس الخزانة Charulavius، ثم تزايدت الوظائف المالية ومسمياتها بسبب إصرار مستشاري الإمبراطور على الفوز بها وهو تقليد لم يتبع في عصر ليو فقط بل سبق حدوثه منذ القرن السابع الميلادي^(٤٠).

أما بالنسبة للوظائف العسكرية ومسمياتها فقد كان هناك فرق كبير بين صلاحيات القادة العسكريين في البلاد المفتوحة وصلاحياتهم في أراضي الإمبراطورية داخل القسطنطينية^(٤١). وكان ليو السادس يعين على رأس كل إقليم Themata، قائد عسكري ويطلق عليه Strategi أما الفرق العسكرية وتسمى Tagmata فكان على قيادتها وظيفة "دومستيكوس" Domestici ومع تزايد حجم المقاطعات التي أضيفت للإمبراطورية نتيجة الحروب.. فقد قسمت تلك الوظائف إلى رتب أصغر منها.. ومنذ عهد ليو السادس أصبح هنالك قائدان عسكريان أحدهما للشرق والآخر لولايات الغرب^(٤٢).

وقد وصل عدد الوظائف القيادية سواء العسكرية أم المدنية إلى ستين وظيفة قيادية.. وجميعهم مسؤولين بصورة مباشرة أمام الإمبراطور فقط مما يظهر مدى صرامة الإدارة التي سيطر عليها ليو السادس حيث أصبح له الأمر والنهي في كل أمور الدولة ونجح في وضع سياسة بيروقراطية حاكمة إلى أبعد الحدود^(٤٣).

(٣٦) Leonis Diaconi, op. cit., p. 840, Toynbee, op. cit., pp. 147 - 148.

(٣٧) Ostrogorsky, op. cit., pp. 225 - 226.

(٣٨) هو والد زوى زوجة الإمبراطور ليو السادس حيث كانت له مكانة مرموقة في نفس ليو وللمزيد انظر وسام فرج: الزواج الرابع، ص ٣٦.

(٣٩) Leonis Grammatici, op. cit., pp. 1095 - 1098.

(٤٠) Ostrogorsky, op. cit., p. 226, Bury, op. cit., pp. 225 - 227.

(٤١) Leonis Grammatici, op. cit., p. 1099, Bury, op. cit., pp. 225 - 227.

(٤٢) Oman, A History of the War, pp. 183 - 6.

(٤٣) Ostrogorsky, op. cit., p. 226.

ولكن رغم هذه السياسة الداخلية الناجحة فقد ترتب على ظهور العديد من المؤسسات والوظائف الجديدة بهذه الصورة المركزية البحتة أن تعقد السلم الوظيفي البيروقراطي.. وفقدت وظائف كثيرة أهميتها وتفوقت الوظائف العسكرية على باقي الوظائف الأخرى وظهر قادة المقاطعات على حساب أصحاب الوظائف الهامة آنذاك مثل وظيفة رئيس المالية Sacellarius، واستطاع القادة العسكريين^(٤٤). انتزاع العديد من الحقوق والمزايا في عهد ليو السادس وخاصة قادة آسيا الصغرى، ولم يبخل عليهم ليو بل اعتبرهم العمود الفقري لأمن بيزنطة وتفوقوا في مزاياهم على قادة مقدونيا وراقيا، تلك التي كانت من أهم الولايات البيزنطية من قبل، وذات الموقع الاستراتيجي المتميز وكان لهذه الولايات دور ملموس في الصراع البيزنطي ضد البلغار وغيرهم^(٤٥).

إلا أن قادة آسيا الصغرى تمكنوا من سحب تلك المزايا منهم وارتفعت رواتبهم بصورة ملحوظة وكثيراً ما كان ليو يمنحهم الهبات والهدايا المالية بالإضافة إلى رواتبهم الثابتة^(٤٦). ويرجع السبب في ذلك الاتجاه خاصة في عهد ليو الحكيم بسبب تزايد خطورة الضغط الإسلامي في جوف آسيا الصغرى بصورة أربكت الإمبراطور ليو واضطرته إلى استدعاء قائده تقفور فوقاس ليتولى قيادة تلك المنطقة ضد المسلمين لذلك حاول إغداق المزيد من المزايا والهيئات العسكرية^(٤٧). ليضمن ولاء قادة تلك المنطقة لقيادته وقد أشار قسطنطين بروفيروجنتوس إلى أن أبيه ليو فرض جزية على سكان الولايات البيزنطية ممن لا يرغبون في أداء الخدمة العسكرية وكان يجمعها الحاكم العسكري ليو تزيكانس Tzikanes ثم تولى تلك المهمة يوحنا الإداس Eladas الذي رقي فيما بعد إلى درجة ماجستير^(٤٨). فكانت تلك الأموال وسيلة ليو ليزيد من إرضاء هؤلاء القادة العسكريين في وقت كان يحاول فيه أن يتجنب المزيد من الحروب والدمار سواء مع المسلمين أو غيرهم.. ويلاحظ على تلك الوظائف والعطايا أنها كانت تتفاوت من واحد لآخر وفق رغبة الإمبراطور ليو السادس ومدى الثقة التي كان يضعها في هؤلاء القادة وعلى قدر نجاحهم في المهام العسكرية المسندة إليهم^(٤٩).

هذا عن الأمور العسكرية، أما عن النظم الاقتصادية التي أقرها ليو السادس فقد تأثر اقتصاد بيزنطة بالنظام البيروقراطي والأتوقراطي الحاكم.. حيث خضعت كل نواحي النشاط الاقتصادي لحاكم القسطنطينية و

Zoarac, op. cit., p. 66, Leonis Grammatici, op. cit., pp. 1103 - 1106, cf. Also, Ostrogorsky, op. cit., p. 222, ^(٤٤)
Grenier, op. cit., pp. 110 - 111.

^(٤٥) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٢٣، ٨٤.

^(٤٦) ذكر بيوري قائمة بقيمة الرواتب التي كان يحصل عليها القادة العسكريين في تلك المناطق مثل قادة أناتوليكون وأرمينياكون وتراكيون حيث كان يتقاضى الواحد منهم أربعين جنياً من الذهب وقادة أوبكيون وبركلارين ومقدونيا ثلاثون جنياً من الذهب وأشار إلى تسدرج القادة في مستحقاقهم المالية وللمزيد انظر:

Bury, op. cit., pp. 224-5, Runciman, S, The Byzantine Civilization, pp. 176-177.
^(٤٧) وللمزيد عن هذا الموضوع انظر قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٥٥-١٥٦.

^(٤٨) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٢٠٤.

^(٤٩) Theophanus Cont, op. cit., pp. 376 - 377; Bury, op. cit., pp. 226 - 227, cf. Also, Ostrogorsky, op. cit., p. 223, Jenkins, op. cit., p. 210, Grenier, op. cit. p. 42.

سلطته المركزية مع أوائل القرن العاشر الميلادي^(٥٠)، والذي كان بدوره يخضع مباشرة لنيو الحكيم الذي أنشأ نقابات للتجار وأصحاب المهن المختلفة.. وانتقل ذلك النظام إلى المدن المفتوحة، وقد تفاوتت أهمية تلك النقابات والمزايا التي حصلوا عليها على قدر نجاحهم في استمرارية إمداد العاصمة بالمؤن والغذاء مثل اللحوم والخضر والخبز والأسماك.. وقد ازدهرت تجارة الشموع والزيت والتوابل حيث أصبحت لكل حرفة رابطة تنظم العلاقة بين التاجر والمستهلك كما ازدهرت تجارة الحرير الخام وكانت نقاباتهم لها مركز متميز داخل القسطنطينية.

وانتشرت أيضاً صناعة وصباغة القטיפية وتجارة الجلود، وشجع ليو صناعة الذهب والصيرفة وأنشأ لهم نقابات خاصة بهم^(٥١)، وأيضاً كانت هناك نقابة لكتابة العقود والوثائق، وجميع هذه النظم متوارثة من النظام الروماني القديم^(٥٢)، وقد تأثر بها كبار التجار والملك، وأدى ذلك إلى إنعاش الحياة الاقتصادية رغم تزايد شكاوهم بسبب زيادة الضرائب عليهم^(٥٣). وقد حرص ليو السادس على جعل حكومته صاحبة السلطة والهيمنة على شئون التجار فلم يكن يتم إنجاز المهام المتعلقة بتجاريتهم دون موافقة كبار الموظفين وحكام المدن الأمر الذي فتح الباب إلى دفع الهبات والرشاوى لتسهيل المعاملات^(٥٤). خاصة أن الدولة أحكمت قبضتها على شئون التجار وبلغت في شروطها ومواصفاتها لأنواع البضائع وجودتها ومقدارها.. وكانت تضع قيوداً صارمة على كل نواحي النشاط التجاري لتضمن سلامته.

وبالإضافة إلى ذلك فقد شجع ليو السادس على الاستيراد من البلاد المجاورة لسد أي عجز في تموين العاصمة، ولكنه منع في الوقت نفسه تصدير السلع خارج البلاد^(٥٥)، وبالتالي أصبح هدف الدولة واضحاً فهي تشجع على تنمية رؤوس الأموال ولكن في ظل هيمنة وقبضة الدولة بصورة لا تعرض فيها البلاد والمدن المجاورة لأي هزة اقتصادية إن تركت للتجار حرية المعاملات دون رقابة مشددة منها.

ويمرور الوقت لعبت تلك السياسة دوراً هاماً في إنماء وظهور الطبقة الأرستقراطية.. التي استبدت بنواحي الحياة الاقتصادية داخل العاصمة وخارجها وتضاءلت أمامها طبقة الفلاحين وصغار الملاك^(٥٦). وتحول الأمر إلى صراع وتكالب من هؤلاء الأثرياء للحصول على أكبر قدر من المكاسب من الدولة واستبدت

(٥٠)

Ostrogorsky, op. cit., p. 224.

وأيضاً: عفاف صهره: الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية، ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٥١)

Oman, op. cit., pp. 176 - 177; Ostrogorsky, op. cit., p. 224.

(٥٢)

Theophanus Cont, op. cit., p. 210, Bury, op. cit., pp. 224 - 225.

(٥٣)

Theophanus Cont, op. cit., p. 417.

^(٥٤) يشير قسطنطين السابع إلى أن مسألة الرشاوى كانت شائعة وموافقة أبيه ليو السادس وكان يعتبرها هدايا وكثيراً ما تقدم بها القادة مقابل وظائف أعلى وتقدم بها التجار مقابل تسهيل مصالحهم وللمزيد انظر قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٩٦.

(٥٥)

Theophanus Cont, op. cit., pp. 376 - 377. وللمزيد عن

التجارة الخارجية في عهد ليو السادس انظر:

Grenier, op. cit., pp. 146 - 163.

(٥٦)

Theophanus Cont, op. cit., p. 417, Ostrogorsky, op. cit., p. 243.

تلك الطبقة بزمام حركة البيع والشراء واضطر ليو السادس أمام ذلك التطور الخطير أن يضيف عليهم المناصب والألقاب ليضمن ولائهم له مما كان لذلك آثار اجتماعية خطيرة ظهرت في عهد أبوه قسطنطين السابع^(٥٧). حيث تحول الأمر إلى استبداد مطلق absolutism وأضحى لهؤلاء التجار وكبار الملاك السطوة والسيطرة على زمام الدولة في وقت ضعفت فيه السلطة المركزية لحكومة ليو السادس بسبب كثرة الحروب ضد البلغار والروس والمسلمين واحتياجه للمزيد من الأموال مما جعله يكثر من المزايا التي منحها لهم لتسهيل تجارتهم ونماء ثروتهم من أجل عائد الضرائب الذي كانت تحصل عليه الدولة ولم يكن هذا في صالح بيزنطة حيث كثر الفساد حين سمح ليو السادس للموظفين بقبول الهدايا من التجار دون الرجوع إليه كما كان متبعاً من قبل^(٥٨). فتزايدت الرشوة والفساد وأجبر الفلاحون على بيع أراضيهم بأبخص الأسعار بل كثيراً ما حصل هؤلاء الأغنياء على تلك الأراضي في شكل هدايا ومنح مما كان دعماً خطيراً للأرستقراطية ونواة لظهور الإقطاع Feudalism^(٥٩) الأمر الذي أثر على موارد الدولة واستقرارها اقتصادياً وعسكرياً^(٦٠)، حيث خفت قبضتها عن كل هؤلاء وانتشرت الأرستقراطية البيزنطية في كل المجالات وتحولت إلى طبقة مستغلة مستبدة لا سلطان عليها، وأجبرت الدولة على الاعتراف بحقوقها في وقت ضاعت فيه مصالح الفلاحين فتهدمت الحياة الاقتصادية وتبلور هذا كله في ظهور المجتمع الإقطاعي وتزايد نفوذه بصورة خطيرة في عهد ليو السادس وخلفائه^(٦١).

^(٥٧) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٨ - ١٩.

^(٥٨) سبق وأن أشرنا إلى هذا الموضوع على لسان قسطنطين السابع ابن ليو السادس حيث آتهم والده بتفاضي الرشوة ولكن بصورة غير مباشرة:

انظر قسطنطين السابع، المصدر السابق، ص ١٩٦.

Vasiliev, op. cit., p. 317.

^(٦٠) Theophanus Cont, op. cit., pp. 147 - 8; Ostrogorsky, op. cit., pp. 225 - 226, 243.

^(٦١) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٧. وأيضاً:

رانسيمان: الحضارة البيزنطية، ص ٢٠٨.

Ostrogorsky, op. cit., pp. 219, 225; Vasiliev, op. cit., p. 346

ثالثاً: السياسة الخارجية لليو السادس

تميز عهد ليو السادس بانكماش وتقاعس خطير في سياسته الخارجية، حيث استفد كل وقته وإمكاناته في تنفيذ خطته الإصلاحية بالداخل مما أضر كثيراً ببيزنطة ولم يكن في صالحها ظهورها بهذا المظهر السلبي في مواجهة الأعداء على الحدود عكس سياسة أبيه بازيل الأول التي اتسمت بالجد والنشاط العسكري المتميز ضد أعداء بيزنطة من المسلمين والبلغار وغيرهم^(١)، ولعل هذا راجع كما قلنا من قبل إلى نشأة ليو السادس الدينية المتسامحة وبفضه للحرب وإراقة الدماء .. ولكن كل الظروف كانت تشير إلى استحالة وقف الخطر الخارجي ضد بلاده على كل الجبهات ومع كل الخصوم فكان هذا الموقف من ليو ذا آثار في غاية الخطورة على هيمنة وقوة بيزنطة في الداخل والخارج على حد سواء.

* سياسته مع البلغار:

ونستهل حديثنا عن الحرب بين بيزنطة والبلغار حيث اتسمت العلاقات معهم آنذاك بقدر من الهدوء والسلام ولم يكن هناك ما يعكر صفو هذه العلاقة فقد شغل البلغار بمشاكلهم الداخلية، وتنازل أول حاكم بلغاري وهو بوريس ميخائيل عن الحكم لابنه سيمون Symeon وذلك بعد اغتيال أبنه الأكبر فلاديمير Flademier فتولى سيمون عرش البلاد ٨٩٣-٩٢٧م وأضحى بعد فترة وجيزة من أشهر ملوك البلغار^(٢). وتميزت علاقته مع بيزنطة بالصفاء والود فقد تربي وتلقى علومه في القسطنطينية واتقن اللغة اليونانية وأعجب جداً بحضارة بيزنطة ولم يكن عنده دافع للعداوة مع ليو السادس^(٣).

فقد انتعشت العلاقات الاقتصادية بين الطرفين^(٤). ومارس التجار البلغار نشاطهم الاقتصادي في القسطنطينية بحرية شديدة، ولكن سرعان ما تضاربت المصالح التجارية بسبب زيادة نفوذ التجار البلغار على السوق والاقتصاد في البلاد. وزاحموا التجار البيزنطيين في احتكار صنوف عديدة من السلع بل أنشئوا لأنفسهم وكالات تجارية تنافس الروم وتهدد مصالحهم بالخطر فما كان من التجار البيزنطيين إلا أن تقدموا بشكواهم للإمبراطور ليو السادس فأمر ستليانوس زوتزس بدراسة هذه الشكوى حيث اقترح ستليانوس باحتكار كل السلع

(١) Oman, The Dark Ages, p. 493, Jenkins, op. cit., p. 210. وأيضاً

(١)

محمد الشيخ: المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٢) Miller, The Rise and Fall of the Bulgarian Empire, p. 237, Ostrogorsky, op. cit., p. 237. وأيضاً البار

(٢)

العربي: المرجع السابق، ص ٣٧٥.

Leonis Grammatici, op. cit., p. 1100; Baynes and Moss, op. cit., p. 21.

(٣)

Leonis, op. cit., p. 1109, Baynes, op. cit., p. 21.

(٤)

البلغارية لمصالح التجار الروم وفرض ضرائب باهظة على سلعمهم بل الأسوأ من ذلك أن ستابانوس أمر بنقل تجارة البلغار من القسطنطينية إلى سالونيك^(٥). مما أشعل الموقف وتوترت العلاقات بين الجانبين.

وقبل الخوض في تفاصيل ذلك الصراع يرى كثير من المؤرخين أن مسألة التفوق الاقتصادي للتجار البلغار لم يكن هو المحرك الوحيد لهذه الأزمة مع بيزنطة، حيث اعتاد البلغار أن يثيروا أزمات سياسية مع الروم بإغارتهم المتكررة على حدود بيزنطة منذ القرن السادس الميلادي^(٦). فقد كانت بلغاريا دولة مرهوبة الجانب ولها حدود شاسعة تمتد من ضفاف نهر الدانوب شمالاً إلى جبال البندوس جنوباً وتشمل كل من بولندا ومورافيا.. وقد تزايد التحدي البلغاري لبيزنطة منذ عهد سيمون^(٧). الذي كان يحلم بعرش القسطنطينية نفسها طيلة حياته هناك، أقصد من هذا أن آمال البلغار في انتزاع الممالك البيزنطية لم تكن خافية^(٨). على أحد.. ولم تكن أزمة التجار البلغار والبيزنطيين إلا ذريعة تعلق بها سيمون ليحقق أهدافه التوسعية مستغلاً في هذا حالة الدعة والتراخي في سياسة ليو السادس الخارجية وضغط المسلمين على حدود الإمبراطورية، بالإضافة إلى انهماك ليو السادس في إصلاحاته الداخلية، فاشتعلت الأزمة بين الطرفين وحاول سيمون في بداية الأمر أن يلجأ إلى الطرق الدبلوماسية وتقديم الشكاوي ليو السادس ولكن لم يعطه البيزنطيون أي اهتمام^(٩)، وتجاهلوا احتجاجات البلغار وحجم الخسائر التي وقعت عليهم بسبب نقل السوق وزيادة الرسوم الجمركية مما أضر بمصالح البلغار^(١٠).

ومن هنا بدأ الاحتكاك العسكري بين الطرفين ففي عام ٨٩٤م لجأ سيمون إلى السلاح في وقت لم تكن بيزنطة مستعدة لمواجهة الحرب وكانت معظم جيوشها تحارب في الشرق تحت قيادة نقفور فوقاس^(١١). فدارت معركة غير متكافئة، حيث أرسل ليو السادس جيوشاً غير مدربة لمواجهة سيمون وجيوشه، ولكن تمكن سيمون من سحقهم وجرد أنوف الأسرى منهم وأرسلهم إلى ليو السادس.. وقد حاول ليو أن يجد العون العسكري من الألمان فقد أرسل سفارة إلى الملك أرنولف Arnulf (٨٨٧-٨٩٩م) يطلب المدد العسكري ضد البلغار ولكن أسى استقبال سفارة ليو في العاصمة الألمانية راتسبون Ratisbon، فاضطر إلى عقد تحالف مع قبائل

(٥) Joannis Zonaras, op. cit., p. 68, Bury, op. cit., p. 362, Ostrogorsky, op. cit., p. 237.

الشيخ: المرجع السابق، ص ٢٠٢؛ جوزيف نسيم: المرجع السابق، ١٥٧.

(٦) الباز العربي: المرجع السابق، ص ٣٧٥.

Ostrogorsky, op. cit., p. 226.

Theophanus Cont, op. cit., p. 360, cf. Also: Runciman, A History of the Bulgarian Empire, p. 152.

Theophanus Cont, op. cit., pp. 380 - 385, Ostrogorsky, op. cit., p. 237.

(١٠) محمد الشيخ: المرجع السابق، ص ٢٠٢، جوزيف نسيم: المرجع السابق، ص ١٥٧، عمران: المرجع السابق، ص ١٥٠ - ١٥١.

Theophanus Cont, op. cit., pp. 380 - 385; Ostrogorsky, op. cit., p. 237.

الماجيار أو المجرين^(١٢)، وهم قبائل بدوية تعيش على الحدود البلغارية على نهر الدينستر والدانوب قرب البحر الأسود^(١٣).

وكان على رأس سفارته البطريرق نيقثاس سكليروس Nicetas Sclerus حيث طلب من زعماء الماجيار مساعدة بيزنطية في غزو بلغاريا. وقد وافق القادة العسكريين على رأسهم أرباد Arpad وكورسون Korson وتعد هذه أول مرة يتم فيها احتكاك بيزنطة بالدول الأوربية المجاورة^(١٤).

وتشير المصادر إلى أن الماجيار لبوا نداء ليو لأسباب سياسية حيث شعروا بضغط شديد من قبل قبائل البجناكية على حدودهم الشرقية. وكان في هذا تهديد مباشر لسيادتهم فأرادوا من وراء ذلك كسب حليف قوي لجانبهم وهو بيزنطة، يدفع معهم خطر البجناكية على الحدود... بالإضافة إلى أملهم في الحصول على مكاسب أو بعض الوظائف العسكرية فيما بعد في جيوش الإمبراطورية ويشير بعض المؤرخين أنه رغم اكتمال الاستعدادات في معسكر ليو السادس إلا أنه تمنى لو يتراجع سيمون عن الحرب، فيقال أنه أرسل وزير خزانته قسطنطينكوس Constantincius وتوسل إلى سيمون وقف الحرب والرضوخ إلى السلم فأبى وألقى القبض على مبعوث ليو السادس فكان لا مفر من الحرب حيث وجد سيمون نفسه محاصراً بجيوش الإمبراطور والماجيار^(١٥).

وحين دارت الحرب لجأ سيمون إلى قلعة ديسترا Dristra المنيعة وتقدم الماجيار يذهبون ويدمرن الأراضي البلغارية وسط آلاف الجند البلغاريين بين قتيل وجريح وأسير، في الوقت الذي أصدر فيه الإمبراطور ليو السادس أوامره إلى نقفور فوقاس بمهاجمة الطرف الجنوبي لبلغاريا، ويشير قسطنطين السابع^(١٦) أن والده ليو أعطى تعليماته أيضاً لأحد قواده ويسمى ميخائيل باركلاس Barklas بأن يعبر نهر الدانوب بسفنه التي ركب فيها الماجيار حلفاء البيزنطيين، وأن سيمون رد على ذلك بأقامة حاجز قوي منيع حتى لا يتمكن الماجيار والروم من عبور النهر ونجح في البداية في وقف تقدم البيزنطيين والماجيار ولكن باركلاس واثنين من البحارة حملوا سيوفهم وقفزوا من السفينة الحربية وقطعوا السياج المصنوع من الأغصان المجدولة وفتحوا ممراً للماجيار مما رجح كفة جيوش ليو وحلفائه، وقد أعجب ليو السادس بجرأة باركلاس وجنوده فعينه رئيساً بحرياً ثانياً للشانية الخاصة بالإمبراطور^(١٧). ولما تزايد الضغط العسكري وحلت الهزيمة بسيمون أرسل يوستاثيوس إلى الإمبراطور ليو يستعطفه لوقف الحرب^(١٨)، بناء على طلب سيمون، ولكنها

Leonis Grammatici, op. cit., p. 1102. وأيضاً عميد

(١٢)

الشيخ: المرجع السابق، ص ٢٠٢.

Theophanus Cont, op. cit., p. 360, Ostrogorsky, op. cit., p. 227, Baynes, op. cit., pp. 21 – 22. (١٣)

Leonis Grammatici, op. cit., p. 1102, Zonarae, op. cit., p. 83 – 88. (١٤)

Ostrogorsky, op. cit., p. 227; Runciman, op. cit., pp. 145 – 7. (١٥)

قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٢٠١.

قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٢٠١؛ انظر أيضاً:

Ostrogorsky, op. cit., p. 227; Bury, Eastern Roman Empire, v. 2, pp. 224 – 6. (١٦)

Cam. Med. Hist, v. 4, pp. 237 – 238; Vasiliev, op. cit., p. 317, Baynes, op. cit. p. 22. (١٧)

كانت خدعة من سيمون حين رأى أن المايجار يتقدمون داخل العاصمة فاضطر إلى التراجع إلى قلعة دريستر، وبعد أن شاهد تساقط جيشه وكثرة عدد أسراه الذين بلغوا بالآلاف حتى بيعوا بأبض الأسعار لنفقور فوقاس، ولما يأس جميع البلغار من النجاة طلب سيمون الصلح ولم يفكر ليو السادس في رفض هذا المطلب لطبيعته الدينية المتسامحة، ولحقن دماء جنوده أيضاً، إلا أن سيمون استفاد من وقف الحرب، وأعاد تنظيم جيوشه، في الوقت الذي صدرت فيه الأوامر لفوقاس ويوستاثيوس بالانسحاب بعيداً عن العاصمة برسلاف، ثم أرسل ليو السادس المايجستر ليو لعقد الصلح ومعرفة شروطه، ولكن سيمون قبض على المايجستر ليو وسجنه في قلعة موندراجا^(١٩)، وذلك بعد أن تأكد من زوال الخطر عن العاصمة ثم بدأ يملئ شروطه للصلح ومن أهمها الانسحاب بعيداً عن أراضي العاصمة، وأطلاق سراح الأسرى البلغار الذين باعهم المجرين لفوقاس.. وفي أثناء هذا كان سيمون يجري اتصالات مكثفة مع قبائل البجناكية ليواجه الخطر البيزنطي، وحلفائهم المايجار.

وقبائل البجناكية Patzinaks كانوا يعرفون باسم البجناك أو البشناق Pechenags وكانوا يسكنون شمال البحر الأسود على الحدود مع الروس وكانوا كثيري الإغارة على تلك الحدود، كما أثار البجناكية الرعب أيضاً لدى المجرين ولم تكن تلك الدول تستطيع أن تدخل في حرب مع الإمبراطورية البيزنطية، أو تمارس تجارتها في البحر إلا إذا كانوا في سلام مع البجناكية الذين كانوا على درجة كبيرة من العنف والشراسة وقد عاشوا في مناطق متفرقة في جنوب نهر الدانوب^(٢٠)، يهدمهم شرقاً مدينة ساركل على نهر الدون وغرباً مدينة ديسترا على نهر الدانوب وكانت حرفتهم الرعي وتربية الماشية والخيول وهم أشبه بالجنود المرتزقة وكثيراً ما استخدموا لصالح بعض الدول المجاورة ضد بعضها البعض وعندما علم ليو السادس بهذا التحالف بين البلغار والبجناكية أطلق سراح من عنده من أسرى البلغار لكن سيمون كان مصراً على الحرب ولكنه أطلق سراح المايجستر ليو، وحمله رسالة تهديد ووعيد لليو السادس من سيمون وحلفائه، وبالفعل دارت معارك حامية بين الطرفين، حقيقة أنها لم تكن على نفس الدرجة من القوة والتنظيم كما كانت من قبل وذلك بسبب اختفاء القائد البيزنطي نفقور فوقاس من ميدان المعركة^(٢١)، على أثر الخلافات الشديدة بينه وبين ستليانوس والدزوي زوجة ليو السادس وقد تمكن سيمون من إحراز نصر ساحق على جيوش ليو السادس والمجريين وأجبرهم على الانسحاب إلى الخلف عبر الدانوب ورغم انتصار البلغار وحلفائهم إلا أنهم فقدوا كثيراً من جندهم حتى قدرت بعض المصادر عدد قتلاهم بما يقرب من عشرين ألف بالإضافة إلى ضحايا الروم والمجريين، وقد حرص ليو السادس على استرضاء سيمون ووقف حمام الدم الهائل بين الطرفين.. لكن سيمون بعد أن تأكد من عودة جميع أسراه.. أعد العدة من جديد وأغار على حدود ترافية متعللاً ببقاء عدد من الأسرى لدى ليو السادس، ودارات معركة حاسمة وعنيفة بين سيمون وليو السادس تعرف باسم بلجارفيجون عام ٨٩٧م Bulgarophygon

^(١٩) Theophanus Cont, op. cit., p. 360; Ostrogorsky, op. cit., pp. 227 – 228; Runciman, op. cit., p. 152.

^(٢٠) وللمزيد عنهم انظر ابن حوقل (القرن ٤هـ - ١٠م): أبو القاسم عماد: صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤؛ الفزوي: (ت ٦٨٢هـ)

أبو عبد الله زكريا بن عماد: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٦٠، ص ٥٨٠.

^(٢١) Theophanus Cont, op. cit., p. 360, pp. 380 – 385, Runciman, op. cit., p. 178, pp. 185 – 188,

Ostrogorsky, op. cit., p. 228.

(١٢) وكان قائد الجيش البيزنطي كاتاكالون Catacalon ولم يكن على نفس المهارة العسكرية للقائد تقفور فوقاس، وقد حلت الهزيمة بالجيش الإمبراطوري وقتل القائد ثيودوسيوس وفر كاتالون من المعركة وقتل عند كبير من رجال الجيش الإمبراطوري، أما الأسرى البيزنطيين والمجرين فقد مثل بهم سيمون كعادته وأرسلهم إلى ليو السادس (١٢)، مبالغته منه في الإذلال والإساءة إلى الإمبراطور البيزنطي الذي لم يتوقف عن طلب الصلح، وفعلاً وافق سيمون على عقد الصلح في مقابل جزية سنوية تدفعها بيزنطة للبلاط البلغاري مع رسم الحدود بين البلدين (١٤).

وقد تجدد الصراع مع البلغار مرة أخرى عام ٩٠٤م وذلك عندما وقع المبعوث البيزنطي السذي كان يحمل جزية الذهب إلى بلغاريا طبقاً لشروط الصلح مع ليو السادس، وقع أسيراً في أيدي ليو الطرابلسي (٣٥). أثناء مهاجمتهم لمدينة سالونيك وقد قدم هذا المبعوث الذهب لليو الطرابلسي على أمل أن يوقف هجماته على سالونيك وبالتالي فقد سيمون البلغاري الجزية لهذا العام، فأغار من جديد على حدود مقدونيا (٣٦)، وتغلغل جنوده البلغار في السهول والأراضي التابعة للسكان البيزنطيين، فأرسل ليو سفارة من عنده يطلب من سيمون الرجوع فوراً عن هذه الأراضي والعودة إلى خط الحدود المتفق عليه (٣٧). وعدم مضايقة الأهالي في هذه المناطق. ولسم يعترض سيمون على ذلك بسبب تأخير والده بوريث Boris الذي كان يلح عليه لوقف الحرب مع بيزنطة فترجع سيمون إلى خط الحدود المتفق عليه وهو خمسة عشر ميلاً داخل سالونيك (٣٨).

وهكذا استمر الصراع بين الروم والبلغار وتوقفت الهدنة مراراً، خاصة بعد وفاة ليو السادس ٩١٢م، حين تولى أخوه الإسكندر الحكم ورفض تجديد المعاهدة ودفع الجزية، فاشتعلت الحرب بين الطرفين، وأرغم سيمون البيزنطيين على دفع الجزية والتنازل عن بعض الأراضي التي يسكنها الصقالبة (٣٩)، في البلقان وتوحدت جميع العناصر الصقلبية تحت طاعة سيمون مما شكل خطورة كبيرة على حدود الإمبراطورية

Leonis Grammatici, op. cit., p. 1102, Theophanus Cont, op. cit., p. 360, Runciman, op. cit., 152, Vasiliev, (٣٦)
op. cit., p. 316.
Theophanus Cont, op. cit., pp. 380 - 385, 360, Leonis Grammatici, op. cit., 1102, Vasiliev, p. 316. (٣٧)
عمران: المرجع السابق، ص ١٦٩.
يو الطرابلسي قائد عسكري يوناني مرتد عن المسيحيين وعمل عبء الجهاد ضد الممالك البيزنطية في سالونيك وغيرها. وسوف نتعرض
للدور العظيم الذي قام به ليو الطرابلسي ضد البيزنطيين في سالونيك انظر:
(٣٨) (رت ٣٤٥) أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢١٦، طبعة ١٣٤٦، ص ٧٨.
Theophanus Cont, op. cit., p. 360, Runciman, op. cit., p. 152, Bu
٣٤٦.
٣٤٦.
Leonis Grammatici, op. cit., p. 1102, Theophanus Cont, op. cit., p. 317.
cit., pp. 336 - 338, Vasiliev, op. cit., p. 317.
Cam. Med. Hist. v. 4, p. 237.

١٩٦
دة أسم منهم النصارى ومنهم محوس يعبدون الشمس ولم يحجر من الشرق إلى الغرب متصل ببحر البلغار ولم أمار كثيرة
ر والمهارة في كثير من الفنون وللمزيد انظر المسعودي: أخبار الرومان، بيروت، ١٩٨٣، الطبعة الخامسة، ص ٩٢ - ٩٣.

كانت خدعة من سيمون حين رأى أن المايجار يتقدمون داخل العاصمة فاضطر إلى التراجع إلى قلعة دريستر، وبعد أن شاهد تساقط جيشه وكثرة عدد أسراه الذين بلغوا بالآلاف حتي بيعوا بأبخس الأسعار لنفقور فوقاس، ولما يأس جميع البلغار من النجاة طلب سيمون الصلح ولم يفكر ليو السادس في رفض هذا المطالب لطبيعته الدينية المتسامحة، ولحقن دماء جنوده أيضاً، إلا أن سيمون استفاد من وقف الحرب، وأعاد تنظيم جيوشه، في الوقت الذي صدرت فيه الأوامر لفوقاس ويوستاثيوس بالانسحاب بعيداً عن العاصمة برسيلاف، ثم أرسل ليو السادس المايجر ليو لعقد الصلح ومعركة شروطه، ولكن سيمون قبض على المايجر ليو وسجنه في قلعة موندراجا^(١٩)، وذلك بعد أن تأكد من زوال الخطر عن العاصمة ثم بدأ يملئ شروطه للصلح ومن أهمها الانسحاب بعيداً عن أراضي العاصمة، وأطلق سراح الأسرى البلغار الذين باعهم المجرين لفوقاس.. وفي أثناء هذا كان سيمون يجري اتصالات مكثفة مع قبائل البنجاكية ليواجه الخطر البيزنطي، وحلفائهم المايجار.

وقبائل البنجاكية Patzinaks كانوا يعرفون باسم البنجاك أو البشناق Pechenags وكانوا يسكنون شمال البحر الأسود على الحدود مع الروس وكانوا كثيري الإغارة على تلك الحدود، كما أثار البنجاكية الرعب أيضاً لدى المجرين ولم تكن تلك الدول تستطيع أن تدخل في حرب مع الإمبراطورية البيزنطية، أو تمارس تجارتها في البحر إلا إذا كانوا في سلام مع البنجاكية الذين كانوا على درجة كبيرة من العنف والشراسة وقد عاشوا في مناطق متفرقة في جنوب نهر الدانوب^(٢٠)، يهدمهم شرقاً مدينة ساركل على نهر الدون وغرباً مدينة ديسترا على نهر الدانوب وكانت حرفتهم الرعي وتربية الماشية والخيول وهم أشبه بالجنود المرتزقة وكثيراً ما استخدموا لصلح بعض الدول المجاورة ضد بعضها البعض وعندما علم ليو السادس بهذا التحالف بين البلغار والبنجاكية أطلق سراح من عنده من أسرى البلغار لكن سيمون كان مصراً على الحرب ولكنه أطلق سراح المايجر ليو، وحمله رسالة تهديد ووعيد لليون السادس من سيمون وحلفائه، وبالفعل دارت معارك حامية بين الطرفين، حقيقة أنها لم تكن على نفس الدرجة من القوة والتنظيم كما كانت من قبل وذلك بسبب اختفاء القائد البيزنطي نفقور فوقاس من ميدان المعركة^(٢١)، على أثر الخلافات الشديدة بينه وبين ستليانوس والدزوى زوجة ليو السادس وقد تمكن سيمون من إحراز نصر ساحق على جيوش ليو السادس والمجريين وأجبرهم على الانسحاب إلى الخلف عبر الدانوب ورغم انتصار البلغار وحلفائهم إلا أنهم فقدوا كثيراً من جندهم حتى صدرت بعض المصادر عدد قتلهم بما يقرب من عشرين ألف بالإضافة إلى ضحايا الروم والمجريين، وقد حرص ليو السادس على استرضاء سيمون ووقف حمام الدم الهائل بين الطرفين.. لكن سيمون بعد أن تأكد من عودة جميع أسراه.. أعد الحدة من جديد وأغار على حدود تراقية متعللاً ببقاء عدد من الأسرى لدى ليو السادس، ودارت معركة حاسمة وعنيفة بين سيمون وليو السادس تعرف باسم بلجارفيجون عام ٨٩٧م Bulgarophygon

^(١٩) Theophanus Cont, op. cit., p. 360; Ostrogorsky, op. cit., pp. 227 - 228; Runciman, op. cit., p. 152.

^(٢٠) وللزيد عنهم انظر ابن حوقل (القرن ٤هـ - ٣١٠م): أبو القاسم عماد: صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٤، القزويني: (ت ٦٨٢هـ) أبو عبد الله زكريا بن عماد: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٦٠، ص ٥٨٠.

^(٢١) Theophanus Cont, op. cit., p. 360, pp. 380 - 385, Runciman, op. cit., p. 178, pp. 185 - 188, Ostrogorsky, op. cit., p. 228.

(٢٢) وكان قائد الجيش البيزنطي كاتاكالون Catacalon ولم يكن على نفس المهارة العسكرية للقائد نقفور فوقاس، وقد حلت الهزيمة بالجيش الإمبراطوري وقتل القائد ثيودوسيوس وفر كاتالون من المعركة وقتل عدد كبير من رجال الجيش الإمبراطوري، أما الأسرى البيزنطيين والمجريين فقد مثل بهم سيمون كعادته وأرسلهم إلى ليو السادس^(٢٣)، مبالغة منه في الإذلال والإساءة إلى الإمبراطور البيزنطي الذي لم يتوقف عن طلب الصلح، وفعلاً وافق سيمون على عقد الصلح في مقابل جزية سنوية تدفعها بيزنطة للبلاد البلغاري مع رسم الحدود بين البلدين^(٢٤).

وقد تجدد الصراع مع البلغار مرة أخرى عام ٩٠٤م وذلك عندما وقع المبعوث البيزنطي الذي كان يحمل جزية الذهب إلى بلغاريا طبقاً لشروط الصلح مع ليو السادس، وقع أسيراً في أيدي الطرابلسي^(٢٥). أثناء مهاجمتهم لمدينة سالونيك وقد قدم هذا المبعوث الذهب لليو الطرابلسي على أمل أن يوقف هجماته على سالونيك وبالتالي فقد سيمون البلغاري الجزية لهذا العام، فأغار من جديد على حدود مقدونيا^(٢٦)، وتغلغل جنوده البلغار في السهول والأراضي التابعة للسكان البيزنطيين، فأرسل ليو سفارة من عنده يطلب من سيمون الرحيل فوراً عن هذه الأراضي والعودة إلى خط الحدود المتفق عليه^(٢٧). وعدم مضايقة الأهالي في هذه المناطق. ولم يعترض سيمون على ذلك بسبب تأثير والده بوريس Boris الذي كان يلح عليه لوقف الحرب مع بيزنطة فترجع سيمون إلى خط الحدود المتفق عليه وهو خمسة عشر ميلاً داخل سالونيك^(٢٨).

ومكذا استمر الصراع بين الروم والبلغار وتوقفت الهدنة مراراً، خاصة بعد وفاة ليو السادس ٩١٢م، حين تولى أخوه الإسكندر الحكم ورفض تجديد المعاهدة ودفع الجزية، فاشتعلت الحرب بين الطرفين، وأرغم سيمون البيزنطيين على دفع الجزية والتنازل عن بعض الأراضي التي يسكنها الصقالبة^(٢٩)، في البلقان وتوحدت جميع العناصر الصقلبية تحت طاعة سيمون مما شكل خطورة كبيرة على حدود الإمبراطورية

Leonis Grammatici, op. cit., p. 1102, Theophanus Cont, op. cit., p. 360, Runciman, op. cit., 152, Vasiliev, op. cit., p. 316.

Theophanus Cont, op. cit., pp. 380 - 385, 360, Leonis Grammatici, op. cit., 1102; Vasiliev, p. 316. (٢٣)

(٢٤) عمران: المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٢٥) ليو الطرابلسي قائد عسكري يوناني مرتد عن المسيحيين وتحمل عبء الجهاد ضد الممالك البيزنطية في سالونيك وغيرها. وسوف نتعرض بالتفصيل للدور العظيم الذي قام به ليو الطرابلسي ضد البيزنطيين في سالونيك انظر:

Theophanus Cont, op. cit., p. 22; Zonaras, op. cit., p. 92.

والمسعودي: (ت ٣٤٥) أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢١، طبعة ١٣٤٦، ص ٧٨.

(٢٦) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٢٠ العربي: المرجع السابق، ص ٣٤٦.

Leonis Grammatici, op. cit., p. 1102, Theophanus Cont, op. cit., p. 360; Runciman, op. cit., p. 152, Bury, op. cit., pp. 336 - 338; Vasiliev, op. cit., p. 317.

Cam. Med. Hist, v. 4, p. 237.

(٢٨)

(٢٩) الصقالية هم عدة أمم منهم النصارى ومنهم مجوس يمدون الشمس ولهم بحر يجري من الشرق إلى الغرب يتصل ببحر البلغار ولهم أنهار كثيرة وعلى قدر من التحضر والمهارة في كثير من الفنون وللغزير. انظر المسعودي: أخبار الزمان، بيروت، ١٩٨٣، الطبعة الخامسة، ص ٩٢ - ٩٣.

وخاصة على العاصمة القسطنطينية حلم سيمون^(٣٠) من قبل والتي لم ينقذها من خسارة البلغار إلا مناعة أسوارها^(٣١).

^(٣٠) Theophanes Cont, op. cit., p. 380; Ostrogorsky, op. cit., pp. 227 – 228, Baynes, op. cit., p. 21.
^(٣١) Cam. Med. Hist, vol 4, p. 237.

* علاقة ليو السادس بالمسلمين

لم تكن العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين أحسن حالاً منها مع البلغار، فقد كانت كثرة الضربات العسكرية التي وجهها سيمون وحلفاؤه البيجناكية ذات أثر خطير على كيان الإمبراطورية البيزنطية.. وانعكس هذا على علاقاتها بالمسلمين ورغم هذا فإن كفة الميزان، كانت تتجه بشدة لصالح بيزنطة بسبب حالة الاستقرار والإصلاح الداخلي الذي عاشته البلاد في عهد ليو السادس وما كان يقابل هذا من اضطراب سياسي داخل الخلافة إذ عاصر تلك الفترة ظهور الدول المستقلة سياسياً عن جسد الخلافة العباسية بالإضافة إلى العديد من المشاكل المذهبية التي فتت عضد الدولة، فقد هاجم القرامطة البصرة عام ٢٨٧هـ/٩٠٠م والكوفة ٢٨٩هـ/٩٠١م والرقّة وغيرها وخرجت أرمينيا بقيادة واليها محمد بن أبي الساج الملقب بالأفشين عن طاعة الخلافة العباسية عام ٢٨٧هـ/٩٠٠م في الوقت الذي انتهت فيه الحرب بين البلغار وبيزنطة بعقد الصلح ودفع الجزية من الإمبراطور ليو السادس إلى سيمون ملك البلغار مما أعطى الفرصة لليو السادس لنقل كثير من قواته البرية للعمل ضد المسلمين في مناطق الحدود.. وفي حقيقة الأمر فإن الصراع بين المسلمين والروم قديم، ورغم الظروف المضطربة للخلافة العباسية فقد وجد بعض المخلصين من قادة بعض الدول المستقلة الذين حملوا عبء الجهاد ضد الروم ومنهم أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام.. ولكن قصر عمر هذه الدولة بالإضافة إلى مشاكلها الداخلية أثر على مواجهتها للخطر البيزنطي الذي وضحت معالمه وبشدة منذ عصر بازيل الأول المقدوني الذي وجه نظاره إلى الحدود مع المسلمين في آسيا الصغرى واستولى على قلعة اللؤلؤة التي كانت بمثابة الحصن المنيع للطريق المؤدي من طرسوس إلى القسطنطينية^(٣٣) كما هاجموا طرسوس نفسها وأسر أميرها أبي ثابت عام ٢٨٧هـ/٩٠٠م ولما حاول والي طرسوس الجديد نزار بن محمد الانتقام من الروم عام ٢٨٨هـ/٩٠١م هاجم البيزنطيون مدينة كيسوم وشنوا هجوماً ضارياً على قواعد أسطول طرسوس^(٣٣). فاضطر الخليفة المكتفي ٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م إلى عقد الهدنة مع الإمبراطور ليو السادس مع تبادل الأسرى^(٣٤). لكن ليو شعر بقدر من الهدوء والاستقرار بعد صلحه مع البلغار ورأى أن الأرض مهيأة لتوجيه مزيد من الضربات تجاه المسلمين، ولكنها لم تأخذ شكل الحرب المنظمة بسبب انشغاله أيضاً بإصلاحاته الداخلية، واستمر الحال في شكل اغارات مستمرة مع الثغور الإسلامية وشعر قادة هذه الثغور بعدم قدرتهم على مواصلة التصدي بمفردهم لتلك الغارات بسبب تقاعس اسطول الخلافة عن تقديم العون اللازم لهم. لكن سرعان ما استفاد المسلمون من اضطراب أحوال بيزنطة العسكرية بسبب تجدد حروبها مع البلغار، وأغاروا على جزر بحر أيجة، والبحر المتوسط وهاجموا الأرخييل وساحل جزيرة المورة ومدينة تساليا كما انزلوا الدمار بمدينة أبيدوس عام ٩٠٤م Abydos^(٣٥)، تلك التي

(٣٣) الطبري: (ت ٣١٠هـ) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٥٠٠، إبراهيم العديوي (دكتور): الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥١، ص ١٠٢، عماد الشيوخ: المرجع السابق، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٣٣) الطبري: المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٣٧.

(٣٤) الطبري: المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٣٧، انظر أيضاً:

Cam. Med. Hist, Vol V, p. 140, 160.
Brehier, Vie et Mort de Byzance, p. 150.

فتحت الطريق أمام القسطنطينية وكان قائد تلك الحملة ليو الطرابلسي^(٣٦). كما هاجم المسلمون إقليم فازيان وحولوا الكنائس فيها إلى حصون وقلاع ويقول قسطنطين السابع أن أباه حزن جداً على ما حدث فسي فازيان فأرسل الماجستر كاتاكالون قائد الجيوش الشرقية إلى مدينة "ثيودوسيوبوليس" فهبت قواته المناطق المحيطة بالمدينة واجتاحوا مدينة فازيان التي كانت تحت سيطرة المسلمين وألحقت بهم خسائر فادحة^(٣٧). وتلك الرواية مشكوك فيها نظراً لأن ميزان القوى كان يميل لصالح المسلمين آنذاك.

عموماً بعد أن تقدم ليو الطرابلسي إلى أبيدوس واستولى عليها تصور الجميع أن الخطوة التالية له ستكون اقتحام القسطنطينية وفعلاً تقدم نحوها لكنه فجأة استدار واتجه إلى سالونيك وهي مركز ثقافي وتجاري عظيم ومن أعنى مدن الإمبراطورية^(٣٨). ويرى المؤرخون أن تقدم ليو الطرابلسي نحو القسطنطينية كانت عملية تمويه مأكرة منه إذ أن خوف ليو السادس على عاصمته جعله يصحب جيوشه وأساطيله من سالونيك لتدفع عن العاصمة.. الأمر الذي جرد سالونيك من دفاعاتها الحربية وسهل مهمة ليو الطرابلسي في اقتحام سالونيك بأقل قدر من الخسائر^(٣٩). وقد عين ليو السادس قائده البحري ايوستاثيوس Eustathius لملاقاة ليو الطرابلسي، وقد فشل ايوستاثيوس في وقف زحف ليو الطرابلسي الذي دخل مدن الهيلسبونت Hellespont^(٤٠). والدرنيل وباريوس، وغيرها ثم اتجه إلى أبيدوس كما سبق القول. ووضح للجميع أن هدف ليو الطرابلسي هو سالونيك ولم تجد نصائح ليو السادس لشعب سالونيك بأخذ الحذر من هجوم ليو الطرابلسي، ولم تفلح محاولات تنظيم الدفاع عن المدينة أو الحصول على مساعدات عسكرية من الخارج. وقد أسهب المؤرخون البيزنطيون في الحديث عن هذه الغزوة ومنهم جورج موناخوس، وصاحب صلة ثيوفانس وكاميلاتي الذي أشار في كتابه (قهر سالونيك)^(٤١). عن أن ليو الطرابلسي أحكم حصاره حول المدينة ومدخلها ثم اقتحمها في رمضان ٢٩١هـ / ٩٠٤م وظل عشرة أيام يقتل ويسفك دماء أهل المدينة وتمكن من إحراز نصر ساحق على جيوش ليو السادس التي حاولت إنقاذ سالونيك دون جدوى بل وتمكن ليو من فك أسرى المسلمين هناك ولقنهم درساً لا ينسى عن جرائمهم الحربية ضد مسلمي كريت وساحل بلاد الشام من قبل^(٤٢).

^(٣٦) أشار المسعودي أن ليو هذا كان والياً على طرابلس ويلقب "أبو الحرب غلام زرافة" وكان قائداً نخبياً على أسطول طرابلس في البحر المتوسط.. ثم صارت له الهيمنة على كل أساطيل الشام أيضاً ويقال أنه من مدينة أتاليا Attalia أو أضاليا واعتنق الإسلام ودخل في خدمة المسلمين ولقبه الروم "بالمرتد" وللمزيد عنه انظر المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٧٨، ١٩٨ - ١٩٩.

^(٣٧) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٦٧.

^(٣٨) Zonarae, op. cit., p. 91, Theophanus Cont, op. cit., 405, Vasilicv, op. cit., p. 305; Brehier, op. cit., p. 150.

^(٣٩) Theophanus Cont, op. cit. pp. 298 - 300; Monachus, Vitae Recentiorum imperatorum, pp. 862 - 863, Zonarae, op. cit., p. 91.

^(٤٠) الهيلسبونت أو كما أسماه الأخرين الهلسبونتوس هو مضيق مائي يقع إلى الجنوب من البحر الأسود وهو مفتوح على بحر إيجه ذلك الجزء من البحر المتوسط الذي كان يعتبر بحراً يونانياً خالصاً وهو المدخل الطبيعي للبحر الأسود، ويشير قسطنطين السابع أن الهيلسبونت كانت مقراً لهجرة رجال الدين المسيحي في قبرص بسبب هجمات المسلمين عليهم وللمزيد انظر قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٨١.

^(٤١) Joannes Cameniata, De Excidio - Thessalonicensi, pp. 508 - 515, Monachus, op. cit., p. 862.

^(٤٢) الطبري: المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٥٧.

وبعد أن حقق ليو الطرابلسي هدفه ورغم نجاحه في الاستيلاء على المدينة قرر الرحيل عنها والانسحاب فوراً حيث أن قواته البحرية لم تكن كافية للبقاء والدفاع عنها ضد رد الفعل البيزنطي^(٤٣). ونرى أن رواية اقتحام سالونيك بتلك الصورة الوحشية فيها شيء من المبالغة حرص المؤرخون الغربيون ومنهم يوحنا كامنياني إلى اللجوء إليها لتشويه صورة المسلمين وتصويرهم بأنهم مجردين من الرحمة وكانوا يحصدون أهل سالونيك كما يحصد الزرع في الحقول^(٤٤). ولكن هذا لا يمنع من نجاح ليو الطرابلسي في الانتقام من الروم^(٤٥)، رغم أنه تحلى بكل صفات السماحة والعفو وهي من شيم المسلمين وأخلاقهم. وقد قيل أن عدد أسرى سالونيك قد وصل إلى اثنين وعشرين ألف أسير^(٤٦). ومما زاد الطين بلة أن سيمون البلغاري أنتهز تلك الهزيمة التي حلت بجيوش بيزنطة ولم يكتف بالهتنة والجزية المبرمة بين الطرفين^(٤٧). وأجبر البيزنطيين على إعادة رسم الحدود بينهما، بل جاء يهدد العاصمة القسطنطينية فاضطر ليو السادس إلى مد حدود بلغاريا حتى سالونيك^(٤٨).

وفي رحلة عودة ليو الطرابلسي من سالونيك مر على جزيرة تاكوسوس Taxus ويقال أن هدفه من وراء هذا أما من أجل التموين أو بيع أسراه حيث كانت تلك الجزيرة تابعة لكريت وتؤدي لها جزية سنوية، أو ربما ليرهب قائدها البيزنطي هموريس^(٤٩).

واكتفى ليو الطرابلسي بالبقاء في كريت عدة أيام باع خلالها بعض أسرى سالونيك^(٥٠). وقد كان لهزيمة سالونيك أثر خطير على هبة بيزنطة وسط جيرانها المتابعين لتلك الأحداث وما انتهت إليه، ولو أن الدولة العباسية كانت في حالة أفضل مما كانت عليه لتمكنت من تهديد حدود بيزنطة في كل منطقة البلقان.. وهو ما حدث بالفعل من قبل جيرانها الآخرين أمثال البلغار والروس.

وقد حرص ليو السادس بعد تلك الهزيمة على زيادة تحصيناته العسكرية^(٥١)، في مدن أتاليا وسالونيك وأضاف قطعاً كبيرة من السفن الحربية في بحر أيجة^(٥٢). ورد على هزيمته في سالونيك بأن أغار على بعض

Thcophanus Cont, op. cit., pp. 366 – 367.

(٤٣)

Joannes Cameniata, op. cit., pp. 515 – 543. انظر أيضاً

(٤٤)

حول أحداث سالونيك ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٧، ص ١٧٤.

(٥٥) اسمت غنيم (دكتورة): الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية، ١٩٧٧، ص ٢٠٠.

(٤٦) أشار أوستروجورسكي إلى تحول سالونيك إلى حمام من الدماء، وهو النهج الذي سار عليه كثير من المؤرخين الغربيين لتشويه صورة الإسلام والمسلمين انظر:

Ostrogorsky, op. cit., p. 229.

Cam. Med. Hist, v. 4, p. 237.

(٤٧)

Thcophanus Cont, op. cit., p. 380; Baynes, op. cit., p. 21, Vasiliev, op. cit., p. 317.

(٤٨)

Joannes-Cameniata, op. cit., pp. 583 – 589, 597 – 598, Ostrogorsky, op. cit., p. 228.

(٤٩)

Ostrogorsky, op. cit., p. 228.

(٥٠)

(٥١) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص ٤١٧٣ اسمت غنيم: المرجع السابق، ص ١٨٥ وأيضاً:

Ostrogorsky, op. cit., p. 229, Oblensky, The Byzantine Common Wealth, Easter Europ, 500 – 1453, London, 1971 – pp. 184 – 5.

Foord, The Byzantine Empire, p. 246.

(٥٢)

الثغور الإسلامية وهاجم القائد البيزنطي اندرونيقوس مدينة مرعش في محرم ٢٩٢هـ / نوفمبر ٩٠٤م في وقت لم يكن في مقدور الخلافة العباسية أن ترد تلك الضربة بسبب انشغالها بمحاولة إرجاع مصر إلى حظيرة الخلافة إثر استقلال الدولة الطولونية بها مما أثر على جيوش الخلافة واضطرب الأمر في بلاد الشام بسبب تزايد خطر القرامطة^(٥٣)، على الطريق من العراق إلى دمشق عام ٢٩٣هـ / ٩٠٥م الأمر الذي أعطى الفرصة للروم للإغارة على الثغور الشامية والمناطق المجاورة لها حتى وصلوا إلى حدود حلب عند مدينة قورس^(٥٤)، واعملوا فيها السلب والنهب.

كما قام القائد اندرونيقوس بوضع خطة عسكرية هدف من ورائها نقل بعض قواته البرية من ثغر الأناضول إلى طرسوس، كما فعل ليو الطرابلسي أثناء غزو سالونيك^(٥٥)، لكنها كانت محاولة فاشلة لم يتم فيها التعاون بين القادة البيزنطيين أنفسهم وهم هميروس واندرونيقوس وانتشرت شائعات بثت الرعب في قلوبهم من نتائج هذه المحاولة وأنها كانت وسيلة من ليو السادس للتخلص من اندرونيقوس لأنه يشك في ولائه فما أن تقدم هميروس واقترب من اتاليا Attalia، راسل اندرونيقوس للحضور حتى رفض هذا الإبحار وتحصن في مدينة إيقونية، فقدم هميريوس بمفرده نحو طرسوس واكتفى بالمناوشات العسكرية الخفيفة في الوقت الذي طلب فيه اندرونيقوس الاستسلام والأمان من الخليفة المكتفي^(٥٦). وثمة قضية أشار إليها المؤرخون المعاصرون^(٥٧) حول رسالة قيل أن الإمبراطور ليو السادس أرسلها إلى الخليفة المكتفي بطلب الصلح والهدنة بين الطرفين وفي نفس الوقت يلتمس إعادة اندرونيقوس إلى بيزنطة، بل وتبادل الأسرى بين الجانبين، وتبالغ هذه الرواية حين يستنتج المؤرخون منها رغبة الإمبراطور ليو السادس في الاستفادة مرة أخرى من خبرة اندرونيقوس العسكرية واسناد القيادة إليه من جديد وتشير في نفس الوقت إلى أن المكتفي لم يوافق على إعادته خشية أن يستأنف من جديد نشاطه العسكري ضد المسلمين.

والواقع أننا لا نستطيع قبول هذه الرواية أو ما أستنتجه المؤرخون منها لأنه ليس من المعقول أن تعيد بيزنطة هذا القائد إلى منصبه العسكري بعد أن خان الدولة واستسلم ولجأ إلى الجانب الإسلامي وليس من المعقول أن يعول الإمبراطور ليو السادس على مهارة هذا القائد على الرغم من علمه بخيانتته ولجونه إلى الخلافة العباسية.

^(٥٣) الطبري: المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٦٦٣ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) أبي الحسن بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، ج ٦، بيروت، ١٩٨٧، ص ٤٢٨ - ٤٢٩: السيرطي: (ت ٩١١هـ): جلال الدين السيوطي: تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٦، ص ٤٢٨، أحمد مختار العبادي: (دكتور): التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت، ص ١٣٨ - ١٣٩.

^(٥٤) قورس: مدينة أرزية بما آثار قلعة وهي كورة من نواحي حلب وأصبحت الآن حراب وما آثار باقية، وللمزيد عنها انظر ياقوت الحميري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٦٧. وأنظر أيضاً:

Jenkins, op. cit., p. 204.

(٥٥)

Jenkins, op. cit., p. 204.

^(٥٦) الطبري: المصدر السابق، ج ٥، ص ٤٦٦٧ ابن الأثير: المصدر السابق، ج ٦، ص ٤٣٤.

وربما سببت غيبته مشكلة فعلاً في قيادة جيوش بيزنطة وأثر غيابه على قوتها العسكرية. لكن ذلك ليس مبرراً أن ينسى الإمبراطور خيانة هذا القائد واستسلامه للمسلمين ليعيده من جديد إلى منصب القيادة. ولهذا لا نستطيع قبول هذا الاستنتاج.

وليس مقبول أيضاً زهاب هذه الرواية إلى أن المكتفي لم يوافق على إعادة هذا القائد خشية أن يستأنف من جديد نشاطه العسكري ضد المسلمين لأن الأمان الذي منحه الخليفة المكتفي لهذا القائد كان يمنعه من إعادة تسليمه إلى بيزنطة من جديد فيحدث بذلك في عهده ويخلف الوعد الذي منحه إياه وهذا ليس من شيم المسلمين.

عموماً لقد استفاد المسلمون من تلك الحالة المضطربة التي ألمت بجيش الإمبراطورية، فقد قام القائد مؤنس الخادم بغزو الصائفة من طرسوس عام ٢٩٦هـ واتجه إلى ملطية ليقوم بغزوة أخرى من الثغور الجزرية، إلا أنه فجأة توقفت تلك الغزوات بسبب ثورة الليث بن علي الصفار في فارس ضد الخليفة العباسي المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢م)^(٥٧). فرحل مؤنس الخادم من ملطية ليحارب الليث وخلفه في قيادة الصوائف القاسم بن سيماء الذي نجح في الغزو صائفتين متتاليتين. كما عمل ليو السادس على إنشاء عدد من الثغور على حساب المسلمين ومنها ثغر ليكاندروس في شمال ملطية مستغلاً انشغال الخلافة في حربها ضد الصفاريين، وإنشاء ثغر آخر على أعالي الفرات كان له أثر خطير على المصالح التجارية الإسلامية في الطريق من ملطية إلى طرسوس^(٥٨).

أما عن دور جزيرة كريت في الصراع ضد بيزنطة في عهد الإمبراطور ليو السادس فقد خرج من كريت الكثير من الحملات البحرية المنظمة للإغارة على الجزر والسواحل البيزنطية، رغم محاولات ليو السادس في إقامة علاقات سلمية مع الجزيرة لتجنب هجمات المسلمين منها فأرسل إلى أمير كريت سفارة برئاسة نيكيتاس Nicetas^(٥٩)، تهدف إلى عقد صلح منفرد معهم ليقضي على التحالف بينهم وبين باقي القوى الإسلامية آنذاك وخاصة الفاطميين في الشمال الأفريقي^(٦٠).

لكن هذا لم يقلل من إصرار أهل كريت على مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين مما اضطر عدد كبير من أهل الجزر البيزنطية المجاورة إلى الهجرة من بلادهم خوفاً من التخريب الذي يمكن أن يحل بهم وخاصة في الأربع عشر سنة الأولى من حكم ليو السادس (٨٨٦هـ / ٩٠٠م) فاضطر ليو السادس إلى أن يصدر أوامره

^(٥٧) الطبري المصدر السابق، ج ٥، ص ٦٧٢ وأيضاً:

Jenkins, op. cit., p. 205.

Symon Magister, Annales, pp. 703 - 704; Ostrogorsky, op. cit., p. 228; Oman, the dark Ages, p. 294; ^(٥٨)

Foord, op. cit., p. 247; Jenkins, op. cit., p. 207.

Miles, G, Byzantium and Arabs relations in Crete and the Aegean Area, in D, O. P. N. 18, 1944, p. 8. ^(٥٩)

Brehier, op. cit., p. 152, Vasiliev, op. cit., p. 407. ^(٦٠)

إلى نفقور فوقاس بوقف حملاته في جنوب إيطاليا والأتجاه إلى البلقان^(١١). خاصة بعد أن تزايدت هجمات مسلمي كريت على الجزر والمدن البيزنطية فقد هاجموا مدن كوروني Koroni، وميثون Methone وبيلوس pylos^(١٢) وقد قوى نفوذ الكريتيين في جزر بحر أيجة والبلوبونيز لدرجة أنهم كانوا يحصلون على جزيرة منتظمة من سكان تلك المدن وكنقوا من هجماتهم حتى وصلوا إلى ساحل مقدونيا، وفي أوائل القرن العاشر الميلادي هاجم الكريتيون لمنسوس Lemnos^(١٣) ٢٨٩هـ/٩٠١م. كما هاجموا ديمترياس Demetrias^(١٤) ٢٩٠هـ/٩٠٢م. ويبلغ التعاون أقصاه بين الأسطول الإسلامي في كريت وأساطيل ليو الطرابلسي الذي خطط لمهاجمة مدينة سالونيك من قبل.

وقد بدأ ليو السادس يستعد لتوجيه ضربات قوية للأساطيل الإسلامية في بلاد الشام والتي كانت العضد الأكبر لكريت، حيث تولى القائد هميربوس هذه المهمة فهاجم مدينة اللاذقية في ٢٩٨هـ/٩١١م^(١٥). وهاجم الأسطول الإسلامي في بحر أيجة، وبدأ هميربوس في توجيه الضربات الشديدة ضد جزيرة كريت نفسها^(١٦)، وقد تعاون أسطول الولايات مع الأسطول الإمبراطوري ضد كريت وشاركت سفن ساموس Samos^(١٧)، وبحر أيجة وكيريوت، بالإضافة إلى الفرسان الذين بلغ عددهم ستة آلاف وسبعة وثلاثين فارساً وعدد كبير من السفن والقطع البحرية^(١٨)، وفي عام ٢٩٩هـ/٩١١م هاجمت تلك الحملة جزيرة كريت ورغم ضخامتها فلم تحقق نجاحاً أفضل مما سبقها من حملات فيعد ثمانية أشهر من حصار كريت عاد هميربوس إلى القسطنطينية بعد أن وصلته أنباء مرض الإمبراطور ليو السادس وفي رحلة العودة وبالقرب من خيوس Chios^(١٩)، لحقت به هزيمة فادحة ٩١٢م/٢٩٩هـ على يد ليو الطرابلسي والقائد دميانه Damian^(٢٠)، وهو قائد يوناني ارتد عن المسيحية وانضم إلى المسلمين وكانت له العديد من المواقف البطولية ضد البيزنطيين، وبالتالي تحطمت آمال البيزنطيين في قمع مسلمي كريت^(٢١)، ولم تشر المصادر إلى نوعية العلاقات التي ربطت بيزنطة بكريت بعد فشل حملة هميربوس ٢٩٩هـ/٩١١م فقد شعرت بيزنطة بعدم قدرتها

^(١١) Leonis Grammatici, op. cit., p. 1099, Zonarae, op. cit., pp. 86 – 87, Cam. Med. Hist, Vol. V, p. 140.

^(١٢) مدينة على الساحل الغربي لبلاد اليونان واقعة بالقرب من مدينة اسرطة المدينة اليونانية الشهيرة.

^(١٣) كنوس تعد إحدى الجزر الواقعة شمال بحر إيجه.

^(١٤) Foord, The Byzantine Empire, p. 246.

^(١٥) Jenkins, op. cit., p. 210.

^(١٦) Brehier, Vie et Mort de Byzance, p. 152.

انظر أيضاً: ابن الأثير: المصدر السابق، ج٦، ص٤٧١، الطبري: المصدر السابق، طبعة بيروت، ج٥، ص٦٧٥.

^(١٧) ساموس: هي إحدى جزر بحر إيجه وواحدة من المدن الهامة الواقعة على ساحل آسيا الصغرى المقابل لبلاد اليونان إلى الشمال مباشرة من مدينة ميلنوس الشهيرة.

^(١٨) اسمت غنيم: المرجع السابق، ص ١٤١-١٤٤.

^(١٩) خيوس: جزيرة تقع على الجزء الشرقي في منتصف بحر إيجه على ساحل آسيا الصغرى.

^(٢٠) Finlay, G, History of Greece, from the conquest by the Romans to the present time, Oxford, 1877, v. II, p.

278, Jenkins, op. cit., p. 210. انظر أيضاً ابن الأثير:

المصدر السابق، ج٦، ص٤٧١، الطبري: ج٥، ص٦٧٥.

^(٢١) أومان: المرجع السابق، ص١٧٢.

على استرداد كريت بسبب الهزائم التي منيت بها أساطيلها^(٧٣)، في نفس الوقت الذي وجهت فيه الخلافة العباسية ضرباتها للروم بالقرب من قليقيا وفي غرب البحر المتوسط وتوغل المسلمون في جوف آسيا الصغرى وعلى شواطئها^(٧٤)، كما تمكنوا من انتزاع أرمينيا على أيدي الروم^(٧٥). وقد لعب الأرمن سياسة ذات الوجهين في الصراع بين بيزنطة والمسلمين^(٧٥) واستمر تأرجح ميزان القوى بين المسلمين والروم على حسب الظروف الداخلية والسياسة الخارجية لكل منهما.

أما مدينة صقلية فقد مارست ضغطاً شديداً على بيزنطة من جهة الغرب^(٧٦)، واستولى العرب على مدينة تاورمينا Taormina^(٧٧)، آخر المعاقل البيزنطية في صقلية. ومنها خرجت الغارات المتلاحقة ضد كاليريا وجنوب إيطاليا وعبثاً حاولت بيزنطة وقف هذه الهجمات فقد مني جيشها بهزائم مريعة على أيدي البحرية الإسلامية فقرر الجانبان عقد هدنة عام ٨٩٥م / ٢٨١هـ فقدت بيزنطة بمقتضاها كل سيطرتها على مياه الجزيرة وغرب إيطاليا، كما هاجم الأغالية مدينة ريو واستولى عليها ابو العباس بن الأغلب^(٧٨)، ثم اتجه بعد ذلك إلى مدينة بالرمو واستولى عليها أيضاً^(٧٩)، ورغم تلك الإشارات الواضحة عن حالة الضعف التي انتابت بيزنطة تجاه أملاكها في الغرب فقد حاول بعض المؤرخين إضفاء صفة البطولة على سياسة ليو السادس هناك وأنه استولى على مدينة أبوليا Apulia^(٨٠)، التي كان يسيطر عليها المسلمون^(٨١)، كما استرد مدينة بنفنتو Beneventum^(٨٢)، وأصبحت تابعة لليو السادس إلا أنه سرعان ما تتحول كتاباتهم لتعبر عن حالة من الحزن والأسى لما مني به ليو السادس من هزائم متتالية وما حاق بسياسته الخارجية من فشل وهي حقيقة صورت فعلاً حالة الإمبراطورية وما آل إليها مصيرها إذ تمكن المسلمون من إلحاق الأذى بها وهزيمة جيوشها وتهديد العاصمة القسطنطينية ذاتها مرات عديدة ولم يمنع سقوطها آنذاك إلا مناعة أسوارها.

(٧٣) أحمد عبد الكريم (دكتور): المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط، ج ١، القاهرة، ١٩٨٢، ص ١١٦.

(٧٤) Ostrogorsky, op. cit., p. 227 - 8. وأيضاً:

(٧٥)

الطبري: ج ٥، ص ٢٨١.

Leonis Grammatici, op. cit., p. 1099.

(٧٦)

(٧٧) لقد تلاعب الأرمن بكل من الروم والمسلمين وكانت سياستهم تنسم بالوشاية والجاسوسية وللمزيد عنهم انظر قسطنطين السابع: المصدر

السابق، ص ١٥١ - ١٥٤.

(٧٨)

Zonarae, op. cit., p. 37.

(٧٩) وللمزيد عن أهمية تلك المدينة ونظام الحكم البيزنطي فيها على عهد ليو السادس انظر قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٩٩.

(٨٠)

Bury, op. cit., p. 309, Cam. Med. Hist., v. 4, p. 141. وأيضاً

العربي: المرجع السابق، ص ٢٨٠.

(٨١)

Ostrogorsky, op. cit., p. 228, Vasiliev, op. cit., p. 305.

(٨٢) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٩٨ - ١٠١ - ١١٠.

(٨٣)

Bury, op. cit., p. 309.

Oman, The Dark Ages, p. 494; Bury, op. cit., pp. 315 - 331.

* علاقة ليو السادس بالروس

وفي سياق الحديث عن السياسة الخارجية لليو السادس يتبقى لنا جبهة أخيرة طالما عانت من خلالها الإمبراطورية البيزنطية بسبب الغارات المتكررة التي قام بها الروس من هذه الجبهة^(٨٣)، فقد شكّلوا خطراً على بيزنطة منذ عهد الإمبراطور ميخائيل الثالث ٨٤٢-٨٦٧م وكانت معظم هجماتهم في عهده تهدف إلى السلب والنهب، ثم تجدد الصراع معهم في عهد ليو السادس.. حين هاجم الروس سواحل بيزنطة في عام ٩٠٧م/ ٢٩٥هـ بقيادة أميرهم أوليج O leg الذي أقام في مدينة كييف وتقدم حتى وصل أسوار القسطنطينية فأنزل خسائر فادحة ببعض المواقع البيزنطية، فاضطر ليو إلى بدء مفاوضات وعقد صلح معهم وفي عام ٩١١م/ ٢٩٩هـ. تجدد الصلح بشروط جديدة ضمنت للروس تسهيلات وامتيازات تجارية في الأراضي البيزنطية.. كما حصل الروس على حق الاشتراك في بعض الوظائف العسكرية في الجيش الإمبراطوري وحصل أوليج على مبلغ كبير من المال^(٨٤). ويشير أوستروجورسكي إلى أن الروس كانوا ضمن الحملة الطرابلسية ودمياته حيث يشير أن عددهم كان حوالي سبعمائة جندي من البحارة وكانوا يتقاضون أجورهم من الذهب مما يؤكد التعاون العسكري بين الروس والبيزنطيين طبقاً للاتفاقية المبرمة بينهما^(٨٥). ورغم هذه المزايا التي حصل عليها الروس لم تتوقف إغارتهم على أراضي بيزنطة بين الحين والحين.. بل استمر الزحف الروسي على حدود الإمبراطورية بعد وفاة ليو السادس.. وكثيراً ما عقدوا تحالفات عسكرية مع جيرانهم البجناكية ضد الإمبراطورية البيزنطية وخاصة طيلة عهد الأسرة المقدونية^(٨٦).

وأخيراً فقد كانت هذه لمحة سريعة عن السياسة الخارجية لليو السادس، اتسمت بالعداء مع المسلمين في شرق وغرب الإمبراطورية من ناحية، ثم صراع عنيف مع البلغار والروس بالإضافة إلى الكثير من صور الاحتكاك مع عناصر أخرى عديدة كان لها ثقل سياسي وعسكري مثل عناصر البجناكية والماجيار والأرمن والصرب وقد أثروا على نهج وسياسة بيزنطة وتركوا بصماتهم على مجرى الأحداث.

وبعد أن استعرضنا الملامح التي ميزت السياسة الخارجية لليو السادس ضد أعداء بيزنطة يجدر بنا أن نشير إلى بعض النواحي الشخصية من حياته، وبعيداً عن مسألة زواجه الرابع وخلافه مع الكنيسة، فقد ذكرت المصادر أنه كان كريماً جداً مع أصحابه المقربين إليه من طبقة النبلاء وقد أشار ابنه قسطنطين السابع إلى أنه كان يحرص على أن يصطحب معه في أسفاره أصدقائه وكبار رجال دولته وأنه لما وجد أن سفينته الصغيرة

^(٨٣) عاش الروس أثناء عهد ليو السادس بأعالي نهر الدنيبر وعاصمتهم نوفجورد Novgorod انظر قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٥٤، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٢٤.

^(٨٤) Obolensky, op. cit., p. 184 - 185.

^(٨٥) Ostrogorsky, op. cit., p. 229.

^(٨٦) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ٣١ - ٣٣.

Ostrogorsky, op. cit., p. 229, Vasiliev, op. cit., p. 322, Toynbee, op. cit., p. 499.

وانظر أيضاً: أحمد عبد الكريم: المصدر السابق، ص ٦٣ - ٦٤؛ عمران: المرجع السابق، ص ١٨٩ - ١٩١.

أو ما عرف بالشختور^(٨٧)، الخاص به لم يعد كافياً لاصطحاب أصدقائه معه في رحلاته البحرية أمر ببناء ثانية خاصة له وحمل معه عدداً من أعضاء السناتو وحملة لقب الماجستر ليشاركوه في متعة النزهة البحرية وهذا على غير عادة الأباطرة الآخرين حيث كان يصطحب معه الضابط المكلف بالمراقبة وأمير البحر ووزير الخارجية وقائد البحرية وكاتم السر والسكرتير الخاص ورئيس الحجاب والمشرف على الملابس وأمناء غرف النوم ولما شعر بزيادة عدد مرافقيه أمر ببناء شختور آخر^(٨٨)، حتى لا يحرم أحد متعة مصاحبته.

وقد كان ليو السادس كثير الأسفار إلى مدن أوليمبوس olymbos^(٨٩)، وبيثيا pythia ونيكوميديا عبر الأنهار الصغيرة في آسيا الصغرى التي تصب في مرمره، وكان إذا ذهب لزيارة قنطرة ارثيموس Arthimos ظل حراسه في ساحة القصر لا يشاركونه هذه المتعة من أجل توفير الأمن والحماية له، وقد عين ليو السادس، يوحنا تالاسون John Talason ليكون "الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطوري"^(٩٠)، وذلك لحراسة السفن الإمبراطورية الأرجوانية والسوداء ماعدا سفن الإمبراطورة، فهي تحت إشراف رئيس مائدة الإمبراطور وقد أعطى ليو صلاحيات لمن يشغل وظيفة "الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطوري" بأن يعين البحارة ويفصل بينهم في الخصومات والمشاكل سواء كانوا بحارة الشختور أو الشانيتين التابعتين لليو السادس.

أضف إلى هذا ما عرف عن ليو السادس بحبه للأدب والفن والتخانة وورعه وقواه.. وغيره الشديدة على بناء صرح عظيم لدولته في الداخل والخارج.

وقد توفي الإمبراطور ليو السادس ٩١٢م/ ٢٩٩هـ وتسلم أخوه الإسكندر مقاليد الرصاية على أبنه قسطنطين السابع بالاشتراك مع رومانوس ليكابيننوس Romanus Lecapenus فقد كان قسطنطين في السابعة من عمره. وقد دخلت بيزنطة آنذاك في سلسلة من الصراعات الداخلية بسبب سياسة الإسكندر المتعنتة ضد زوي Zoe زوجة ليو السادس وأم قسطنطين السابع التي طردها من القصر الإمبراطوري، ثم تبع هذا دخول كنيسة القسطنطينية في صراع شديد مع الإسكندر بسبب عزله للبطريرق يوثيموس Euthymius وإعادة نيقولا إلى كرسي البطريرقية، بالإضافة إلى المزيد من الاضطرابات السياسية في الخارج وتجدد الصراع مع البلغار لرفض الإسكندر دفع الجزية المتفق عليها من قبل بين سيمون البلغاري وليو السادس مما كان لكل هذه الأحداث آثار سلبية خطيرة على مصير الإمبراطورية البيزنطية عقب وفاة ليو السادس.

(٨٧) درويش النحيلي (دكتور): السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٨٨) قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٨٩) أوليمبوس: اسم أشهر جبل في بلاد اليونان ويقع جنوب مقدونيا وقد اعتقد الإغريق قديماً أن جبل أوليمبوس والمدينة المحيطة به هي موطن

آلهتهم وعلى رأسهم الإله زيوس وزوجته هيرا.

(٩٠) وللمزيد عن أسماء القادة الذين شغلوا وظيفة الجليل الأعلى للمرسى الإمبراطوري انظر قسطنطين السابع: المصدر السابق، ص ١٩٩ - ٢٠١.

الخاتمة

وبعد فقد رأينا على مدى الصفحات السابقة كيف تميز تاريخ بيزنطة في عهد الإمبراطور ليو السادس بأحداث هامة سواء في الداخل أو في الخارج، فقد استطاع ليو السادس إدارة دولته بأسلوب إداري متميز ورائع حيث كان لعلمه وثقافته أثر كبير على رسم خطته الاقتصادية والإدارية الناجحة فانتعشت البلاد في عهده وعم الرخاء.. رغم أن سياسته الخارجية ألم بها الكثير من الصعاب والقلقل بسبب عدائه مع البلغار والمسلمين والروس.. وكيف أثر ذلك على مصير دولته، واضطر لقبول الصلح أو الجزية مرات عديدة أو معاودة استئناف القتال ضد أعدائه من جديد. كما تناولنا حياة ليو السادس الشخصية وعلاقاته بأصدقائه ومستشاريه تلك العلاقات التي كشفت النقاب عن عمق شخصيته وتواضعه الجم وأثر نشأته الدينية السمة على حياته الشخصية. وسياسته واختتمنا البحث بالأحداث التي صاحبت انتقال الحكم لابنه قسطنطين السابع بوصاية عمه الإسكندر والقائد رومانوس ليكابيروس لتدخل بيزنطة بعد ذلك فترة أخرى مع الصراع السياسي في الداخل والخارج.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأجنبية

- 1- George Monachus, Vita Recentiorum Imperatorum, C. S. H. B, 1838.
- 2- Joannis Zonarae, Opera Omnia in Patro Logiae Graecae, Belgium t. 135.
- 3- Joannes Cameniata, De Excidio Thessalonicensi, C. S. H. B, Bonne 1828.
- 4- Leonis Grammatici, Chronographia, in Patro Logiae Graecae, Belgium, t. 108.
- 5- Leonis Diaconi, Historia, in Patro Logiae Graecae, Belgium, t. 117.
- 6- Novellae Leonis, Les Nouvelles de Leon VI Le Sage, ed, et, trad, A. Dian p. Noailles, Paris, 1944.
- 7- Symon Magister Annals, C. S. H. B, Bonn, 1828.
- 8- Theophanus Continuates, Chronographis, C. S. H. B, 1838.
- 9- Vita Euthymii, Vita Euthymii Patriarcha cp. Text Translation, Introduction and Commentary by p. Karlin Hayter, Bruxelles, 1970.

المجموعات:

Cambridge Medieval History, Cambridge 1924.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- 1- Baynes, N, and Moss, Byzantium, An introduction to East Roman Civilization, Oxford, 1948.
- 2- Brehier, (1) institutions, Les institution de L'empire Monde Byzantine, II, Paris, 1948.
(2) Vie et Mort de Byzance, Paris, 1947.
- 3- Bury, J, A History of the Roman Empires, London, 1912.
- 4- Every, G, The Byzantine Patriaracha, 451 – 1204, A. D, London, 1962.
- 5- Finlay, G, History of Greece, from the conquest by the Romans to the present time, Oxford, 2vols, 1877.
- 6- Foord, The Byzantium Empire, London, 1911.

- 7- Gernier, P. L'Empire Byzantium, Paris, 1904.
- 8- Grumel, V, Grumel La chronologie des evenement du regne de L'eon VI (886 – 912) E 0 – 35, (1931) pp. 5 –42.
- 9- Hussy, T. M. The Byzantine World, London, 1967.
- 10- Jenkins, R. Byzantium, the Imperial Centures, London, 1966.
- 11- Karlin Hayter, Le Synod a constantinople de 886 – 912 et Le role de Nicolas Le Mestique dans L'affaire de La tragamie, Job, 1970.
- 12- Miller, The Rise and Fall of the Bulgarian.
- 13- Milles, G, Byzantium and the Arabs relations in Crete and Aegean Area in D. O. P. N. 18. 1944.
- 14- Oblensky, the Byzantine Common Wealth, Easter Europ, London, 1971.
- 15- Ostrogorsky, G, A History of Byzantine States, trans, by Hussey, Oxford, 1956.
- 16- Oman, A History of the Art of War in the Middle Ages, 2vols, London, 1924.
- 17- Oman, The dark Ages, London, 1962.
- 18- Runciman, S, Byzantine Civilization, London, 1933.
- 19- Runciman, A History of the Bulgarian Empire, London, 1930.
- 20- Toynbee, A, Constantine Prophrgenitus and his World, London.
- 21- Vasiliev, A. The History of the Byzantine Empire, Medison, 1952.

ثالثًا: المصادر العربية

- ١ بن حوقل: (القرن ٤هـ / ١٠م) أبو القاسم محمد: صورة الأرض بيروت، ١٩٧٩.
- ابن الاثير: (٦٣٠هـ) أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٧، الطبعة الأولى.
- السيوطي: (ت ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٦.
- الطبري: (ت ٣١٠هـ) محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك ٥ أجزاء، بيروت، ١٩٨٨.

القرويني: (ت ٦٨٢هـ) أبو عبد الله زكريا بن محمد، أثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٦٠.

المسعودي: (ت ٣٤٥) أبو الحسن علي بن الحسين: (١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١٣٤٦.

(٢) أخبار الزمان، بيروت، ١٩٨٣، الطبعة الخامسة.

رابعاً: المراجع العربية والمعربة

١- إبراهيم العدوي (دكتور): الإمبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، القاهرة، ١٩٥١.

٢- أحمد مختار العبادي (دكتور): التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت.

٣- أحمد عبد الكريم (دكتور): المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط، ج١، القاهرة، ١٩٨٢.

٤- اسمت غنيم (دكتورة): الإمبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية ١٩٧٧.

٥- السيد الباز العريني (دكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٦.

٦- أومان: الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د/خالد طه بدر، القاهرة، ١٩٥٦.

٧- جوزيف نسيم يوسف (دكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية ١٩٦٦.

٨- درويش النخيلي (دكتور): السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤.

٩- رانسنيمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد ومراجعة زكي بدر.

١٠- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): أوروبا في العصور الوسطى، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٩٤.

١١- محمد محمد مرسي الشيخ (دكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٧.

١٢- محمود سعيد عمران (دكتور): معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٨١.

١٣- وسام فرج (دكتور): (١) الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس، الإسكندرية ١٩٩١ (٢) تاريخ حضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ١٩٨٣.

١٤- عفاف سيد صبرة (دكتورة): الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، ١٩٨٢.

القاهرة، ١٩٥١.

- ٢- أحمد مختار العبادي (دكتور): التاريخ العباسي والفاطمي، بيروت.
- ٣- أحمد عبد الكريم (دكتور): المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط، ج١، القاهرة، ١٩٨٢.
- ٤- اسمت غنيم (دكتورة): الإمبراطورية البيزنطية وكرت الإسلامية ١٩٧٧.
- ٥- السيد الباز العريني (دكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٦٦.
- ٦- أومان: الإمبراطورية البيزنطية، تعريب د/خالد طه بدر، القاهرة، ١٩٥٦.
- ٧- جوزيف نسيم يوسف (دكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية ١٩٩٦.
- ٨- درويش النخيلي (دكتور): السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤.
- ٩- رانسيمان (ستيفن): الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد ومراجعة زكي بدر.
- ١٠- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): أوروبا في العصور الوسطى، الطبعة السابعة، القاهرة، ١٩٩٤.
- ١١- محمد محمد مرسي الشيخ (دكتور): تاريخ الدولة البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٧.
- ١٢- محمود سعيد عمران (دكتور): معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، بيروت ١٩٨١.
- ١٣- وسام فرج (دكتور): (١) الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس، الإسكندرية ١٩٩١ (٢) تاريخ حضارة الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية ١٩٨٣.
- ١٤- عفاف سيد صبرة (دكتورة): الإمبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان، دار النهضة العربية، ١٩٨٢.



بهزاد

يمثل أهم مراحل التطور في مدارس

التصوير الإسلامى ١٩٩٨

إعداد

د/ أحمد على خليل سليمان

- مدرس بكلية الفنون الجميلة - جامعة الاسكندرية